صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2269) السنة الثامنة

الخميس (6) تشرين الاول 2011

4

صبيحة الشيخ داود

صحفية

صبيحة الشيخ داود

أوائل العراقيات

أول محامية عراقية وحكاية جمعية تحرير المرأة

عبد الكناني

بدأت الحركة النسوية العراقية النشاط الاجتماعي العلني من خلال مجموعة من النساء المتعلمات من الطبقة الأرستقراطية في تأسيس أول ناد نسوي أطلق عليه أسم (نادي النهضة النسائية) عام ١٩٢٣، ومن ضمنهن السيدة نعمة سلطان حمودة، السيدة أسماء الزهاوي، والآنسة حسيبة جعفر، والآنسة بولينا حسون، وعقيلات عبد الرحمن الحيدري، ونوري السعيد، وجعفر العسكري .

ساهمت المرأة في المجال الصحفي عند ظهور اول مجلة نسائية (ليلى) عام ١٩٢٣ وكانت رئيسة تحريرها بولينا حسون التي طالبت بمنح المرأة حقوقها السياسية وبدأ تأسيس المنظمات النسائية الخيرية مثل الهلال الاحمر وجمعية حماية الاطفال وجمعية بيوت الأمة وجمعية البيت العربي .

كانت اول طبيبة عراقية عينتها وزارة الصحة، ارمنية، هي الدكتورة أناستيان، وهي اول فتاة عراقية دخلت كلية الطب في بغداد وتخرجت فيها سنة ١٩٣٩ .

الدكتورة سانحة أمين زكي اول فتاة مسلمة تدخل كلية الطب ولدت عام ١٩٢٠ وتعتبر واحدة من بناة حضارة العراق .

الدكتورة سلوى عبد الله مسلم وهي اول طبيبة صابئية مندائية تخرجت عام ١٩٥٦ وكانت مثال الاخلاق والطيبة المندائية وتميزت بخدماتها الانسانية في مجال الطب العام والنسائية والولادة .

في مطلع الأربعينيات دخلت المرأة الحياة السياسية بتأسيس اللجنة النسائية لمكافحة الفاشية وكانت تضم بين صفوفها الطبقة الواعية من المثقفات وتم استبدال اسم هذه الجمعية إلى اسم الرابطة النسائية واصدرت في عام ١٩٤٧ مجلة باسم «تحرير المرأة» الا انها اغلقت بعد صدور عددين منها فقط. .

أول من تخرجت في كلية الحقوق صبيحة الشيخ داود عام ١٩٤١ ولعبت دورا رياديا اجتماعيا في النهضة النسوية العراقية ؛ فقد شاركت في مختلف الجمعيات الخيرية كالهلال الاحمر والام والطفل والاتحاد النسائي ؛ وساهمت في كثير من المؤتمرات النسوية والانسانية داخل العراق وخارجه ؛ فكانت صوتا امينا دلل على رفعة المرأة وتقدمها وصدق كفاحها من اجل المساواة في الحقوق والواجبات .

عام ١٩٤٥ تأسست جمعية المرأة العراقية المناهضة للفاشية والنازية برئاسة عفيفة رؤوف، وعضوية كل من نزيهة الدليمي وروز خدوري وفكتوريا نعمان وعفيفة البستاني وأمينة الرحال وسعدية الرحال ونظيمة وهبي .

تُعْتبرُ المحامية أمينة الرحال أول إمرأة تمارس مهنة المحاماة في العراق حيث انها تخرجت في كلية الحقوق (كلية القانون) سنة ١٩٤٣ وعملت في مكتب المحامي عبدالرحمن خضر ويقال انها كانت أول إمرأة في العراق تتولى قيادة سيارة .

المحامية الثانية في العراق فهي المحامية أديبة طه الشبلي التي قبلت في كلية الحقوق سنة ١٩٤٩ وبعد التخرج عملت في المحاماة وفتحت مكتباً خاصاً لها في عمارة الخلاني في شارع الرشيد ببغداد .

ساهمت المرأة العراقية بدور فاعل ومميز في وثبة كانون الثاني عام ١٩٤٨ لاسقاط معاهدة بورتسموث ولا ننسى (عدوية الفلكي) حينما تقدمت المتظاهرين، حاملة علم العراق، وقد تعرضت النساء للاعتقال كما ساهمت النساء في انتفاضة اكتوبر عام ١٩٥٢ وبلغ عدد المعتقلات جراء ذلك ١٥٠ امرأة .

وبتاريخ ١٠/ ٣/ ١٩٥٢ تأسست أول منظمة ديمقراطية جماهيرية باسم رابطة الدفاع عن حقوق المرأة ومن ابرز مؤسساتها : الدكتورة نزيهة الدليمي ، الدكتورة روز خدوري ، سافرة جميل حافظ ، خانم زهدي ، سالمة الفخري ، زكية شاكر ، زكية خيري وانا مبجل بابان .

عينت د. نزيهة الدليمي أول وزيرة عام ١٩٥٩ وتعتبر أول وزيرة بالوطن العربي وهي الوزيرة التي اثبتت المساواة بين الانثى والذكر قانونا .

احتشد جمهور غفير في ملعب الكشافة، من عشّاق فريق الشرطة وأنصار نادي الجيش. كان ذلك عصر الجمعة في الرابع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) وخلاله جرت اول مباراة نسوية مكشوفة بكرة القدم بين فريق كليّتي التربية الرياضية وفريق كلّية العلوم .

القاضية السيدة زكية اسماعيل حقي، اول قاضية في العراق ورئيسة اتحاد نساء كردستان حتى عام ١٩٧٥.

ولا ينسى التاريخ بطلات الرياضة سلمى الجبوري وايمان صبيح وايمان الرفيعي وباسمة بهنام والعداءة العراقية إيمان عبد الأمير في مسابقات ركض الـ١٠٠ متر حواجز، في ١٤،٤١ ثانية.

و دور كل من زكية العبايجي وسالمة الخفاف وفائزة النجار وسهيلة كامل شبيب ونهى النجار في تأسيس نادي الفتاة العراقي في الخمسينيات وكان للهيئة الادارية واللاعبات دور كبير في رفد الحركة الرياضية وتطورها وفي جمع التبرعات بعد حرب ١٩٦٧ وايصالها الى المخيمات في الاردن وسوريا وزيارة الجرحى في المستشفيات وتوزيع الهدايا عليهم .

وفي مجال الرسم برز اسم نزيهة سليم ، اكملت دراستها بالرسم عام ١٩٤٧ وتخرجت في معهد الفنون الجميلة وكان يشار لرسومها وقابليتها الفنية العالية وهي شقيقة الفنان الراحل جواد سليم .

الشاعرة نازك الملائكة ولدت في بغداد عام ١٩٢٣ . ونشأت في بيت علم وأدب ، في رعاية أمها الشاعرة سلمى عبد الرزاق أم نزار الملائكة وأبيها الأديب الباحث صادق الملائكة وتخرجت فيها عام ١٩٤٤ بدرجة امتياز من دار المعلمين العالية.

ثم توجهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاستزادة من معين اللغة الانكليزية وآدابها عام ١٩٥٠ تجيد من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية ، بالإضافة إلى اللغة العربية، وتحمل شهادة الليسانس باللغة العربية من كلية التربية ببغداد ، والماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكونسن في أميركا .

الشاعرة رباب الكاظمي ولدت في القاهرة وهي ابنة الشاعر عبد المحسن الكاظمي . بدأت تشعر في سن مبكرة كانت تكتب عن الوطنية وحب الوطن .

ابتهاج عطا امين ولدت في بغداد ١٩٢٧ لقبت ب « بلبلة العراق الفريدة « ١٩٤٣ التحقت بالجامعة في القاهرة ثم حصلت على ليسانس اداب ثم ماجستير، شعر العراق ١٩٥٧، ذو خيال خصب في الادب والشعر .

في ميدان الشعر المنظوم برزت (سافرة جميل حافظ) شاعرة هادئة لها ضربات ايقاعية في جل قصائدها، وجيدها ذلك الذي كانت تقوله في المناسبات .

الشاعرة الجرينة والاستاذة الدكتورة (عاتكة وهبي الخزرجي) التي ولدت في بغداد ١٩٢٤، وتخرجت في دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٥، ثم حصلت على الدكتوراه من السوربون في باريس، وقد اصدرت ثلاثة دواوين شعر هي(انفاس السحر – ١٩٦٣، القاهرة) و (لألاء القمر – ١٩٦٥ ، القاهرة) و (انواف الزهر – ١٩٧٥ الكويت)، كما اصدرت مسرحية شعرية بعنوان مجنون ليلى نهجت في كتاباتها نهج امير الشعراء احمد شوقي ويتميز شعرها باللون القصصي.

لميعة عباس عمارة ولدت عام ١٩٢٩ في بغداد تخرجت في دار المعلمين العالية عام ١٩٥٠ . عملت مدرسة في دار المعلمات الأولية ، وفي ثانويات بغداد إلى أن تقاعدت في السبعينيات للتفرغ لحياتها الأدبية والشعرية .اشتغلت في أواسط السبعينيات في منظمة اليونسكو . نشرت الكثير من نتاجها ، منذ كانت طالبة في دار المعلمين العالية في أكثر من صحيفة ومجلة عربية من دواوينها الشعرية الزاوية الخالية ١٩٦٠ .

الشاعرة العراقية مقبولة الحلي ولدت ١٩٢٩ وانتظمت في كلية الملكة عالية ببغداد تخرجت فيها سنة ١٩٥٣ ميلادي ثم عينت مدرسة للغة العربية في ديالى في متوسطة المقدادية مدة ثلاث سنين و عادت بعدها للتدريس في بغداد في ثانوية الحريري للبنات و بقيت مدرسة فيها حتى وفاتها عام ١٩٧٩ وديوانها الحب الكبير الذي اشار اليه بعض الباحثين قد كان المتوقع ان يطبع الا ان هذا لم يحدث ولقد احسن الدكتور احمد حميد كريم

في ميدان الشعر المنظوم برزت (سافرة جميل حافظ) شاعرة هادئة لها ضربات ايقاعية في جل قصائدها، وجيدها ذلك الذي كانت تقوله في المناسبات .

الشاعرة الجرينة والاستاذة الدكتورة (عاتكة وهبي الخزرجي) التي ولدت في بغداد ١٩٢٤، وتخرجت في دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٥، ثم حصلت على الدكتوراه من السوربون في باريس.

صنعا في جمعه ما استطاع من شعرها المنشور في تلك الصحف والمجلات وذلك في عمله ديوان مقبولة الحلي ’دراسة وجمع وتحقيق ‘في مجلة كلية العلوم الاسلامية –جامعة بغداد .

صدوف العبيدي التي اكملت دراستها في دار المعلمين الابتدائية ولدت سنة ١٩٣٧، لها ديوان شعر اصدرته سنة ١٩٥٥.

أميرة نور الدين ولدت سنة ١٩٢٥ والتحقت بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٣، ونالت شهادة الماجستير سنة ١٩٥٧ عن رسالتها الموسومة (الشعر الشعبي العراقي في العراق الاوسط)

.برز في فترة الخمسينيات في بغداد، اسم الاختين (فطينة النائب) (شاعرة) و(ماهرة النائب) (قاصة) ولها اخت ثالثة اسمها (سامية النائب) كانت تنظم الزجل والشعر العامي .

وقد شبههن الاستاذ الدكتور صفاء خلوصي في مقال كتبه في مجلة العربي سنة ١٩٦٠ بالثالوث الانكليزي – برونتي Bronte شارلوت وأن واميلي. كانت ماهرة تتخذ لها شهرة (النقشبندي) تميزا لها عن شهرة النائب.

برزت (امال الاوقاتي) في ترجمة قصة (مرحبا ايها الحزن) تأليف (فرانسو ساغان) من الفرنسية الى العربية.

انتقلت القاصة (ديزي الامير) بابداعها القصصي ومواهبها الكتابية في القصة والرواية الى الاجواء العربية يوم اختارت بيروت سكنا وموطنا ثانيا لها.

اما (مديحة بحري) فقد كانت كاتبة من الطراز الاول سكنت باريس في منتصف الاربعينيات وكانت من أوائل السيدات العراقيات اللواتي عملن على الساحة الاوربية حيث افتتحت وأدارت محلات للكوافير، كما كانت دائمة الاتصال بالمجلات النسوية والمنتديات الثقافية، ومن مقالاتها المبكرة في جريدة الميثاق مقالاً بعنوان (في سبيل الوطن علموا أبناء الأمة التضحية) الصادرة في الأول من كانون الثاني سنة ١٩٣٥.. كما نشرت في الموضوع نفسه بمناسبة استشهاد الطيارين العراقيين الخمسة كل من الآنسة (حليمة رؤوف) والآنسة (رزينة الزهاوي)..

برزت القاصة (نزهة غانم) حين أصدرت أول مجموعة قصص لها في العراق بعنوان (المرأة المجهولة) في بغداد سنة ١٩٣٤ ..

كما نشرت في الصحف مقالات متنوعة كل من (حميدة الحبيب) سنة ١٩٤٠ و(افتخار الوسواسي) سنة ١٩٤٧ و(حربية محمد) سنة ١٩٥٣.

خيرية المنصور – المرأة العراقية الوحيدة التي ولجت ميدان الاخراج السينمائي وبرعت فيه وقدمت فيلمين روائيين طويلين وعشرات الافلام القصيرة اضافة إلى مسلسلين تلفزيونيين .

وفي مجال الأعلام برز اسم فكتوريا نعمان في عام ١٩٤١ دخلت كلية الحقوق وكانت مع زميلتيها سمية الزهاوي ونزيهة فرج الطالبات الثلاث الوحيدات في الدفعة من مجموع مئتي طالب. وحدث ان استمع اليها مدير اذاعة بغداد، حسين الرحال، تلقي كلمة في حفل بالكلية، فأعجب بالقائها ودعاها للعمل في قسم الاخبار. وبهذا اصبحت اول مذيعة عراقية عام ١٩٤٣، وصل صوتها الى المستمعين مرتين كل يوم، في نشرتي الرابعة عصرا والثامنة مساء.

من المربيات الفاضلات في مجال التعليم والخدمة العامة، برزت (رفيعة الخطيب) و(سليمة زيتون) وامت سعيد وافتخار الوسواسي وسعاد الاوقاتي وغنية الكاطع وصدوف الكاظمي وراجحة الدوري .

واسماء اخرى كثيرة حفرت على تراب الوطن ذكريات جميلة لا تنسى في المجالات العلمية والثقافية والادبية والتربوية والسياسية طوال هذه السنين واليوم اصبحت تصفق وتقول نعم لما يملى عليها او تبتعد منزوية في البيت او تقف على اسوار الوطن ودموعها تسيل .

هذه المرأه التي تربي الاجيال وتصنع القاده متى يعود اسمها لامعا يرفرف عاليا بعيدا عن كل اشكال العنف الذي تتعرض له لتهميش دورها او حصره بالانجاب او بالغاء الفكر ،

لن تعود الا بعد ان يتم احداث تغييرات مجتمعية مهمة تؤمن بدور المرأة بالمشاركة والمساواة والعدالة والقضاء على كل الأساليب التي تقيدها وتعامل كأنسانة لها الحق في الحياة ،

لتعود رمزا للوطن وعنوانا لكرامته ومربية لابنائه

بعض العضوات في المؤتمر النسائي الاول بالقرب من ابو الهول: ليما وجميلة وايلي عام ١٩٤٤

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2269)
السنة الثامنة
الخميس (6)
تشرين الاول 2011

صبيحة الشيخ داود صحفية

ميمون صبيح

في دار الكتب والوثائق العديد من الكتب والصحف والمجلات ومنها المجلة النسائية القديمة والاولى في العراق مجلة (ليلى) وهي مجلة نسائية صدرت في العراق في عهد ملك العراق فيصل الاول والتي تعتبر تعزيزا لنهضة المرأة العراقية الادبية وهي مجلة قديمة كانت تبحث في كل مفيد وجديد وما يتعلق بامور العلم والفن والادب والاجتماع ولاسيما تهذيب الفتاة وتربية الاولاد وصحة الاسرة وسائر مايختص بتدبير المنزل . وقد كان اصدار هذه المجلة شهريا وتشرف عليها رئيسة التحرير الصحفية بولينا حسون..

وكان العدد الاول قد صدر في تشرين الاول عام ١٩٢٣ ويتضمن عدة من المواضيع اهمها الثبات الحقيقي، اطيب ساعة، ليلة اخليلية، الشعر والعقل. تربية الاطفال احترموا شيخكم، وكلمة العدد وكلمة في الإنتقاد ومتى تحيا الامة، حياة المدرسة قانون، صحة الحامل اخبار الغرائب وغرائب الاخبار، مقتطفات المجلات الاوربية، حديث ربات البيوت وحوادث ليلى واهم الاصدارات من صحف ومجلات كان ثمنها لايتجاوز اثنتي عشرة روبية في العاصمة بغداد واربع عشرة روبية لانحاء العراق وعشر روبيات للمدارس وليرة انكليزية للخارج .وعليه ان النهضة النسائية العراقية الادبية اضحت امرا مستعجلا به يفك كثير من الامور ومن المعضلات وبه تخطف المراة حقوقها (لان الحق اليوم لا يؤتى وفاء انما يخطف خطفا ومن الجدير بالذكر ان هذه المجلة عنيت بشؤون الاسرة وكما نادت لتحرير المراة ونيلها حقوقها وخاصة في التعليم والعمل وكما كانت تهدف الى ترقية المرأة خلقيا.

واعتبر دور حياة المدرسة للكاتبة صبيحة الشيخ احمد داود وهي احدى تلميذات المدرسة المركزية ببغداد (احسن ادوار الحياة ودور التعلم في المدرسة ولايعرف لذة الحياة المدرسية الامن ذاقها ، ولايقدرها حق قدرها الامن تحلى بحلية الفضيلة وتنور بنور العلم وهل من حياة احلى وافيد من حياة المدرسة ، وتقول ان المدرسة جنة طيبة لمن يفهمون الفضائل والحسنات

وبعد سرد طويل تدعو صبيحة ابناء وطنها الى العلم وتقول لهم الى العلم يابنياء وبنات وطني فما بعد العلم غاية ، ولااستغناء عنه لذي دراية هلموا الى رياض المعارف وارتعوا فيها ان الفتاة الصغيرة لايطيب لها عيش الا بالمدرسة وبما احصله منها من الفوائد والساعة التي دون التزود بالعلم والمعرفة اعدها من عمري

لذا كانت المراة من ذاك الوقت تسعى جاهدة لان تصل في الدور الاول والقيادي ومساواة اخيها الرجل

اما ابرز خبر فيها كان من (الصحف المحلية موافقة وزارة الاوقاف بانشاء مدرسة للبنات في احدى محلات بغداد وهو خبر مقترح في ذلك الوقت ولاسيما مدارس البنات كانت نادرة جدا في بغداد خصوصا والعراق عموما . ومن قرا تقرير وزارة المعارف الرسمي الذي نشرته الجرائد اخذه العجب وذلك بسبب قلة ميزانية ووزارة المعارف وقلة عدد المدارس وعلى الخصوص مدارس البنات اما اهم الرسائل التي تم توجيهها الى مجلة ليلى وهي (مرحبا بليلى وبام ليلى وسلام الله يغشى محب الادب والفضل وغير كثير على ام الربيعين ان تنبت زهرة يصبو اليها عشاق الكمال وربات الجمال زينة في الصدور او اكليلا فوق هام ويضيف (وسلام على ليلى البدوية في عصور الظلمة وسلام على ليلى المدنية في عصر النور ويختم رسالته الى المجلة بهذه الكلمات فيقول بها (يقولون ليلى في العراق مريضة ، فياليتني كنت المداوي ،حبذا الليليان كلتاهما عربيتان ولكن شتان مابينهما

في المدرسة المركزية عام ١٩٣٥ مع صديقتها ناهدة الحيدري

وكذلك يفعل الزمان تلك عامرية وهذه عمرانية وليلى القديمة مريضة وليلى الحديثة ممرضة ولعل الله يخص على يدها الشفاء مهما ازمن الداء وعز الدواء وقال الاطباء)

اما اهم مانشرته هذه المجلة من اصدارات ، التقرير الصحي لمديرية الصحة العامة لعام ١٩٢٢ حيث اهداه الى المجلة الدكتور حنا بك خياط وزير الصحة العام السابق ومديرها

وقد جمع التقرير بابدع اسلوب واحسن تنسيق ليس فقط البيانات والاحصائيات والملاحظات الصحية انما حوى من المعلومات النفسية والفوائد الفنية والاجتماعية ، بالاضافة الى مجلة المعلمين وهي مجلة علمية ادبية شهرية صادرة في ذاك الوقت لصاحبها السيد هاشم السعدي وفيها من المقالات والدروس العلمية والعملية والروايات مايفيد ويلذ.

اما اهم ماتم اهداؤه من كتب ، كتاب نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق والذي تم نشر ملخص عنه في عدد المجلة السابع في ١٥ ابريل عام ١٩٢٤ والكتاب من تاليف يوسف رزق وقد جمع الكتاب بـ٢٢٤ صفحة اخبار حياة اليهود في العراق المالية والاجتماعية والادبية منذ عهود التوراة وحتى يومنا هذا ويتخلل الكتاب الرسوم المختارة والتقارير المثقفة . وكتاب اخر هو رواية (تحت ظل المشانق) وهي رواية ادبية اجتماعية (الجزء الاول بقلم السيد عبد الرزاق الحسني وهو احد الطلاب المتخرجين من دار المعلمين العالية ببغداد

كتاب امين الريحاني في العراق جمعه رفائيل افندي بطي وانفق على طبعه عبد الجليل افندي رزق الله واهدى مجلة ليلى نسخة منه وقد تم نشره في عددها الاول ويعتبر هذا الكتاب انذاك ديوان ادب عصري قد جمع من منظومات ومنشورات ادباء العراق نفائس بديعة واظهار من قبل العراقيين على تكريم اهل العلم والادب

وكتاب تجارة العراق قديما وحديثا بقلم رزق الله غنيمة وهو عضو مجلس الادارة والمعارف في بغداد وقد اهدى نسخة منه الى المجلة، وهو كتاب تاريخي واقتصادي في غاية النفاسة وقد توخى المؤلف الاساليب الحديثة في افكاره واستقراءاته وكلامه فجاء تاليفة وهو كتاب فني عصري حي ولايستغنى عنه طلاب التاريخ والاقتصاد اما في مجال الصحف فقد كانت صحيفة (العالم العربي وهي جريدة يومية سياسية وصحيفة الشعب وشط العرب والمصباح

اما ماجاء في العدد الخامس لمجلة ليلى في ١٥ شباط ١٩٢٤ اصدارات ودروس في اصول التدريس تاليف ابي خلدون ساطع الحصري وقد صدر الجزء الاول من هذا الكتاب النفيس فاهداه الى مجلة ليلى . وقد ذكر في مقدمة الكتاب ((زبدة مالقاه من الدروس والمحاضرات منذ اربع عشرة سنة خلت باللغة التركية اولا في فروق واللغة العربية في دمشق وفي اخر الامر باللغة العربية في دار السلام وقد كان الكتاب غزير المادة كما وصفته المجلة متين التعليم حسن الاسلوب يجتنى منه المدرسون والمدرسات ثمارا طيبة تنشأ عندها فوائد جمة للمدارس العراقية انذاك

بالاضافة الى المجلة الزراعية (باسم مجلة الزراعة الحديثة) وهي مجلة مصورة تصدر في غرة كل شهر في مدينة حما كانت قد اهديت الى مجلة ليلى

وكتاب نساء الاسلام حيث اهدت صاحبة الكتاب فاطمة علية هاشم) كريمة العلامة الشيخ جودت باشا . ومجلة الحرية وهي مجلة اصدرها في العاصمة بغداد حضرة عبد الجليل افندي رزق الله وهي تبحث في العلم والادب. وكتاب جغرافية العراق الحديثة الفه حضرة هاشم السعدي وقررت وزارة المعارف ان ذاك تدريسه في المدارس العراقية والثانوية ودار المعلمين العالية اما الصحف والمجلات الي تم نشرها في المجلة فقد كانت الكشاف العراقي وهي مجلة شهرية مديرها محمود نديم والحضارة صحيفة اسبوعية لصاحبها منير افندي البابيدي والحقائق المصورة وهي صحيفة اسبوعية لصاحبها محمد صالح افندي الوردي واخيرا يقول انها اول مجلة توفقت فيها فتاة عراقية لاصدارها فهي تفتخر بذلك مثنية على كل من دفعته النخوة لتنشيطها وتقول المؤلفة على اثر قدومي دار السلام دعيت لالقاء خطاب في الحفلة التي اقيمت لها في منتدى التهذيب في ١٠ حزيران عام ١٩٢٣ لتكريم الشاعر الزهاوي وكانت قد سمعت رئيسة التحرير بولينا حسون الزهاوي قائلا لمجلة ليلى : واني بليلى مغرم وهي موطني وعلي ان اقضي في غرامي بها نحبي فهبطت الكلمتان (ليلى والوطن) على قلبي هبوط الوحي فاندفعت الى تحلية المجلة باسم ليلى وقد كان اسمها فتاة العراق.

اما اهم مانشرته هذه المجلة من اصدارات ، التقرير الصحي لمديرية الصحة العامة لعام 1922 حيث اهداه الى المجلة الدكتور حنا بك خياط وزير الصحة العام السابق ومديرها

وقد جمع التقرير بابدع اسلوب واحسن تنسيق ليس فقط البيانات والاحصائيات والملاحظات الصحية انما حوى من المعلومات النفسية

صبيحة الشيخ داود

صبيحة الشيخ داود والدفاع عن حقوق المرأة

خالص عزمي

كاتب عراقي راحل

عام ١٩٢٢ فوجيء الشعب العراقي وهو في قمة دفاعه عن الحجاب؛ بصبية في الثانية عشرة من عمرها تركب الجمل وتمثل الخنساء في مهرجان (سوق عكاظ) تحت رعاية الملك فيصل الأول؛ ولم تكن تلك الصغيرة إلا صبيحة الشيخ أحمد الداود ابنة احد شخصيات الدين الكبار الذي أصبح فيما بعد وزيراً للأوقاف. حينما وقفت صبيحة سافرة وهي تلقي شعر الخنساء؛ لم تتهيب مقام الملك؛ ولم يرتج عليها بسبب ذلك الحشد الكبير وصعوبة لغة القصيدة الفصيحة؛ بل راحت تثير الإعجاب بحسن الأداء وقوة الحافظة والاندماج بتمثيل الشخصية. إذن هكذا كانت البداية الجريئة.

في عام ١٩٣٦؛ وبالجرأة ذاتها؛ التحقت صبيحة بكلية الحقوق فكانت الفتاة الأولى التي انتمت إلى هذا الصرح العلمي؛ لتجلس على مقاعد الدرس بين زملائها الرجال؛ وبحمايتهم ورعاية الأستاذ العميد منير القاضي؛ وحينما تخرجت عام ١٩٤٠عملت في نطاق وزارة المعارف؛ كمفتشة تربوية ثم مدرسة في دار المعلمات حتى عام ١٩٥٦؛ حيث عينت عضوا في محكمة الأحداث وبقيت في منصبها القضائي هذا مدة ١٤ عاما؛ تجول بين قضايا اجتماعية ونفسية يتغلب على أكثرها عنصر العادات والتقاليد.

كانت وهي تنظر في قضايا المحالين من صغار السن؛ تسترجع كل ما قرأته أو مارسته تربوياً؛ فيخفق فؤادها بالرأفة والرعاية؛ وتميل إلى الإنصاف والرحمة والإصلاح؛ لا إلى التشدد والقسوة والعقاب. لقد حدثني قضاة ومحامون كثر عن أسلوبها المتميز بدراسة القضايا بروح متأنية ورؤوفة؛ فأشادوا بكفاءاتها القانونية؛ وقدرتها على التحليل النفسي واستيعاب كل قضية من خلال ظروفها ووقائعها وارتباطها بالبيئة التي حدثت فيها أو أثرت في أسبابها ومجرياتها وطبقاً لنصوص القانون ساري المفعول..

كما ذكر لي الصحفي الكبير المرحوم صبيح الغافقي هذه الحادثة قائلا (عرضت مرة على الأستاذة صبيحة قضيتين متشابهتين في الوقائع لصبيين في السن ذاته؛ واحد من الوزيرية؛ والآخر من محلة التسابيل قرب باب الشيخ؛فلما دققت في الأوراق التحقيقية اتضح لها بأن هناك فرقاً بيناً في بيئتي كل منهما؛ من حيث الرعاية الأسرية والسلوك التربوي والعادات والتقاليد؛ فأخذت ذلك بنظر الاعتبار عند تحديدها للتكييف القانوني من خلال أسباب ودوافع كل منهما لاقتراف الجريمة) وهكذا يكون منظور العدالة عند الشخصية القانونية التي تتصدى للفعل الإجرامي وتدرسه من مختلف جوانبه طبقاً للزمن الذي حدث فيه؛ ولبيئة المكان الذي دارت وقائعه على مسرحه. لعبت الراحلة صبيحة الشيخ داود دوراً رياديا اجتماعياً في النهضة النسوية العراقية؛ فقد شاركت في مختلف الجمعيات الخيرية كالهلال الأحمر والأم والطفل والاتحاد النسائي؛ وساهمت في كثير من المؤتمرات النسوية والإنسانية داخل العراق وخارجه؛ فكانت صوتاً أميناً دلل على رفعة المرأة وتقدمها وصدق كفاحها من أجل المساواة في الحقوق والواجبات. ولقد نشرت عشرات المقالات والبحوث وألقت كثيراً من المحاضرات؛ ثم أصدرت كتابين رائدين هما: (أول الطريق) وهو عن تجربتها الحياتية والنسوية؛ والثاني (تجربتي في قضاء الأحداث)؛ وهو عن عملها المؤصل في تلك المحكمة القضائية الاجتماعية ومن يطلع على هذين المؤلفين؛ ينبهر بالأفكار الحديثة التي طرحتها؛ وباللغة العربية الفصيحة المشرقة التي استعملتها دونما تكلف أو تصنع. إضافة إلى تطعيم كل ذلك بالأمثال والحكم التي ارتكزت عليها في توضيح آرائها التي جاءت بها في صفحاتها المشرقة التي اعتمدت على نصوع البيان الأدبي وسلاسة البلاغة المنتقاة الصافية.لقد حضرت كثيرا من مجالسها الأدبية في صالونها الأنيق من بيتها العامر في أبي نؤاس المطل على نهر دجلة الخالد؛ فكان ذلك المجلس حافلاً بالشخصيات البارزة في القانون والأدب والدبلوماسية والفن؛ تصدح في جوانبه قصائد الشعر؛ وحكايات الذكريات والموسيقى العذبة والطرائف التراثية التي كان يسوقها أسبوعياً جهابذة الأدب والتاريخ كمصطفى جواد وجعفر الخليلي والشيخ جلال الحنفي وفؤاد عباس وحافظ جميل وكوركيس عواد وإبراهيم الوائلي ويوسف يعقوب مسكوني وعبد الهادي التازي... إلخ. وكانت صبيحة الشيخ داود تضفي من شخصيتها المتعففة الكريمة المتواضعة على الحاضرين رقة في الحديث ودماثة في الخلق. وعليه؛ لم يكن غريباً أن يذكر أستاذها العميد القاضي في مقدمته لكتابها (أول الطرق) حينما أورد العبارة الصادقة التالية: (وقد دفعني إلى كتابة هذه المقدمة قيام الصلة الوثيقة بيننا؛ صلة أستاذ مخلص مع تلميذة نجيبة وفية؛ فقد قضيت في تدريسها مع زملائها أربع سنوات في كلية الحقوق؛ وهي الفتاة الوحيدة بين نحو ألف طالب يحترمونها وتحترمهم ويقدرون نشاطها وسعيها؛ وتقدر أدبهم وحسن سيرهم معها على وجه المساواة والحرمة المتبادلة..).

عن كتابه المخطوط ادب القضاة

صبيحة الشيخ داود وريادة الحركة النسائية في العراق

د. ابراهيم خليل العلاف

قد لاكون مخطئا إذا قلت أن الكثير من أبناء الجيل الجديد لا يعرف إلا القليل عن رائدة النهضة النسائية في العراق،صبيحة الشيخ داود (١٩١٤ــ١٩٧٥) هذه المراة التي قامت بدور لايقل عن الدور الذي أدته هدى شعراوي زعيمة الحركة النسائية في مصر. فمن هي صبيحة الشيخ داود ؟وما دورها في تاريخ المراة العراقية ونضالها من اجل التحرر والتقدم؟.

مع نشوب الحرب العالمية الأولى . جاءت ولادتها. وكان المجتمع العراقي منذ مطلع القرن الحالي يموج بتيارات واتجاهات سياسية واجتماعية وفكرية مختلفة. والصراع بين (المجددين) و(المحافظين) على أشده. ولقد اتخذ هذا الصراع وجود متعددة منها قضية (السفور والحجاب) التي شغلت الناس وردحا من الزمن. والتي عاشها الناس وتابعوها على صفحات الجرائد والمجلات.ومع أن دعاة التغيير والتجديد لم يكونوا بالقوة التي كان عليها دعاة المحافظة. إلا أن تيار التغيير استطاع أن يكتسح أمامه كل الصعوبات والعراقيل لان حركة التأريخ كانت مع الذين حرصوا على تبديل صورة مجتمعهم.

لقد عاشت صبيحة الشيخ داود وسط هذا الجو الصاخب من الصراع الاجتماعي والفكري بل وكانت إحدى المساهمات في هذا الصراع. تتحدث هذه المراة عن تلك الأيام فتقول أن المراة العراقية ناضلت في سبيل أهداف حيوية قد لايحس بقيمتها الجيل الجديد. كالسفور والحجاب. والتعليم النسوي وأشغال المراة لوظائف الدولة وغير ذلك. وقد يكون من حق هذا الجيل أن لايحس بذلك. ولكن عليه للإنصاف ان يتذكر مدى الكفاح المرير الذي خاضته المراة لتصل إلى ماتراه اليوم في أكثر حقول المعرفة والعيش.

إن صبيحة الشيخ داود تحدد نهوض المرأة الجديدة بعاملي الثورة العراقية ١٩٢٠ ، وحركة التعليم. ولايعني هذا أنها تتجاوز دور المراة نفسها ومكانتها في الأسرة بكل ذلك، ولكن الذين، يشايعون هذه النهضة الباسقة لايدهشون لاقترانها بالثورة وارتفاع صيحتها في سبيل حرية الوطن وسيادته،ففي أيام الثورة سارت أول مظاهرة للمرأة، وفيها بدأت أول عملية اكتتاب لغرض وطني، وقدمت أول احتجاج وفي الثورة لم تبال المراة بكل تضحية».

ثم تأتي قصة اقتحام المراة لميدان التعليم النسوي، فتروي صبيحة الشيخ داود ذكرياتها عن مدرسة الإناث التي افتتحت في بغداد يوم ٦ كانون الثاني ١٩٢٠ والتي كانت هي من أولى التلميذات المنتسبات إليها. فقالت إن خبر إنشاء المدرسة خلق ردود فعل متباينة. فقد اهتزت (أوساط) من الفزع والجزع، واعتبرت هذه الدعوة تضليلاً وخروجا بالفتاة عن الطريق السوي.. ولهذه الأسباب كلها كان حظ والدي واضرابه وفيرا من السباب المر والشتم المقذع والتجريح المنكر وشهد منزلنا كما شهدت دور الأخرين من الذين ناصروا الدعوة لتعليم الفتاة الكثير من العنت والإرهاق وفداحة الأحكام»

وبالرغم من ذلك فقد شق تعليم الإناث طريقه أنذاك في بطء ظاهر، وفي وجه مقاومة ضارية.

وعندما مثلت صبيحة الشيخ داود دور الخنساء في مهرجان سوق عكاظ الذي أقامه المعهد العلمي ببغداد في شباط ١٩٢٢ تبرم بعض «الجامدين والمتزمتين بهذا الموقف وكادت تحدث

أزمة وزارية حينما اعترض عبد الرحمن الكيلاني رئيس الوزراء على ظهور صبيحة الشيخ داود (وعمرها آنذاك لم يزد على ثماني سنوات) « سافرة وتخطب على جمل».وتعلق صبيحة الشيخ داود على قصة خطبيها في اول مهرجان في العراق فتقول :» لقد دوى في مهرجان كبير صوت المراة ممثلاً في صبيحة فكبرت الكلمة.. وكبرت الفكرة.. وتقدمت المراة تشق طريقها في كل مجال، حتى لتبدو تلك القضية برمتها نكتة من نكات الزمن اليوم»

ثم جاءت مرحلة التعليم العالي ،لتخطو صبيحة خطوة ثانية في أول الطريق. فحتى سنة ١٩٣٦ كان مجرد التفكير في دخول الفتاة إلى معهد عال يعد مغامرة خطيرة تصدمها كثيرة من العثرات والعوائق. ولكن التجربة الأولى تنجح وتدخل أول فتاة التعليم العالي من أبوابه الواسعة، الفتاة الوحيدة بين زهاء ١٨٠ طالباً. لقد قالت والدة صبيحة الشيخ داود للطلاب المتجمهرين في باب كلية الحقوق في احد أيام تشرين الأول-أكتوبر ١٩٣٦:» اعتقد إنكم ستعاملون أختكم معاملة طيبة فانا اتركها أمانة لديكم واعتقد أنها ستكون عند حسن ظنكم، ولن تتركوها إن شاء الله تندم على هذه التجربة» وكان لهذه الكلمات وقع السحر على الطلاب، ورد بعضهم بكلمات طيبة وحماسية.

شاركت صبيحة في نهضة الصحافة العراقية كذلك، فكتبت مقالات عديدة في بعض الصحف والمجلات التي كانت تصدر منذ بداية العشرينات ، ولعل مقالاتها في مجلة «ليلى» التي صدر عددها الأول في ١٥ تشرين الأول ١٩٢٣،من أقدم ماكتب، كما أسهمت في إنشاء بعض الجمعيات النسائية فكانت سكرتيرة لجمعية حماية الأطفال التي تشكلت في ١٢ آذار-مارس ١٩٤٥ وعضوا في الهيئة الإدارية لجمعية الهلال الأحمر في سنة ١٩٥٨، وقد اشتركت في بعض المؤتمرات النسائية العربية. ففي المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في بغداد بين ٥ــ٩ آذار ١٩٥٢ كانت صوتا مسموعا في الدفاع عن المراة العربية وجهودها في بناء المجتمع العربي الجديد، ولقد حضرت مؤتمر الاتحاد العربي النسائي في بيروت بين ١٥ــ١٨ أيار-مايو ١٩٤٩ ممثلة لنسوة العراق.

لقد حرصت صبيحة الشيخ داود على تسجيل أحداث ووقائع نضال المراة العراقية وذلك في كتابها الذي حمل عنوان» أول طريق إلى النهضة النسوية في العراق» ونشر ببغداد سنة ١٩٥٨، وذلك رغبة منها في اطلاع الجيل الجديد على «تطورات قضية المراة الجديدة في العراق» فهي تقول في مقدمة الكتاب» كان لزاما علي ان اسجل هذه المرحلة.. ولاشك في أنني كنت اعد مسؤولية إلى حد كبير لو لم اضطلع بهذا العبء بكوني واحد ممن ماشين النهضة، وساهمن في إرساء قواعدها واوصولها، بين أول دفعة من الطالبات، وأول طليعة من المعلمات ثم في أول مرحلة للتعليم المختلط في هذه البلاد...»

وصبيحة الشيخ داود لم تكن من أوائل الطالبات والمربيات حسب، بل كانت أقدم أديبة عراقية معاصرة وأول حقوقية وأول قاضية عربية، وأول من أقامت صالونا أسبوعيا ينتظم فيه أعلام الفكر والأدب والسياسة في العراق. إن قصتها ــ بحق ــ ليست إلا صفحة خالدة من صفحات نضال المراة العراقية المعاصر.

الشيخ احمد الشيخ داود وتأثيره في ابنته

حميد المطبعي

الشيخ احمد الشيخ داود (١٨٧١-١٩٤٨) من اعلام اليقظة الفكرية في العراق، وهو فقيه جعل في فقهه وثبة وطنية تحرر الدين من التزمت والجمود وهو زعامة وطنية، وأسس أحزابا وطنية في بداية نشوء الدولة العراقية الحديثة في العشرينيات وكتب برامجها على قاعدة (ان الولاء الوطني هو العراق) وكان مؤرخا، شاعرا، مصلحا في الاجتماع، تخرج به جيل حفر في الصخر عميقا عميقا كي يستقيم العراق على الدفق الحر الامين..!

ولد في كرخ بغداد واصل أجداده في مدينة (عنه) وكانوا يمارسون التصوف على الطريقة النقشبندية وكان والده (العلامة الشيخ داود افندي) من المشايخ الفقهية ببغداد، وتذكر له طريقة دينية مفتوحة نشرها في الحجاز في مدن بشمالي العراق، فهو بيت الشيخ احمد الداود مزيج بين دين يحارب فساد الذمم، ووطنية أنشأت لغة جديدة في فضيلة الوطن، فشب في هذا البيت العريق، قوي الحجة ويستخرج الحق من بواطنه..! ويكفيه فخرا انه انتج ذرية كريمة الغرس فيها ابنته (صبيحة الشيخ داود) ١٩١٥-١٩٧٥ اول عراقية أسست قواعد النهضة النسوية في العراق المعاصر واول حقوقية رفعت شعار (ان بالمرأة نفتح المجتمع الحديث) وكانت امها (زوجة الشيخ احمد) من اللاتي جمعن المال والذهب لتغذية قواعد ثورة العشرين، هو اذن بيت الشيخ احمد الداود بين رفعة وشموخ العين ويتحدر من صفاء التواريخ.

وهو في الثانية عشرة لبس العمة التي تظهره على بداية العلم، وادخل في احدى حلقاته فدرس اوليات النحو والبيان على اركان بيته ونشأ فيه الشعر وكان اكثره في الانتقاد الاجتماعي، وبلغ العشرين وهو شاعر يستمع له خطباء المنبر الاسلامي، ثم انضم الى الحلقة العلمية في حوزة العلامة علي الخوجة فاجازه في المنطق والتفسير والى حلقة الشيخ محمد سعيد الدوري، فاجازه في الفقه وهو على هذين الشيخين ادرك غاية الشرائع وحقائق المذاهب الاسلامية وكان في فترات يلازم عددا من اعلام الدراسات الدينية من امثال: العلامة عبد اللطيف افندي والعلامة بهاء الحق والشيخ مصطفى الواعظ وكل هؤلاء الاعلام افادوه في تدقيق الفرائض والحديث والرواية اي انه جمع الى العلوم العقلية العلوم النقلية فتخصص بها في تفسير الحياة، وتدرع بها لتفسير احداث الحياة، انما درس العقل في الدين ودرس النفس في تضاعيفه لكي يوظف كل الدين في تحرير الحياة من بؤس الحياة، اذ هو كان من دعاة ان الدين فضيلة ونقاء، فينبغي ان تخرج الفضيلة من الجامع الى الحياة، وتدب في الارض، وتدب في الانسان لاحداث الشرارة الالهية لتقويم اي اعوجاج في حياة الناس..!

وفي عام ١٨٩٠ منحه الشيخ نجم الدين النقشبندي اجازة في (تخليفه) اذ صار من حقه ان يخطب الناس في الجوامع والمحافل الدينية، وفي خطبه وزع في النفوس بنور الحرية، وعين مدرسا في ديالى، وهناك اقام قاعدة من عقول المتنورين وتكشف لنا بعض وثائق محافظة ديالى بان الشيخ احمد الداود هيأ نفوسا صالحة للثورة على الفساد العام، وكان من بينهم قاضي بعقوبة الشيخ حسين افندي.. الذي قاوم الانكليز في ثورة العشرين وقتلوه على عتبة داره..!

واشتهر الشيخ احمد كونه مصلحاً، دقيق المناورة على العثمانيين، ويضغط من العامة عين قائم مقاما في مدينة خانقين، فاصلح في ادارتها، وجعل فيها قاعدة للتنوير، ثم يضغط عامة بغداد عينه العثمانيون رئيس الواعظين فيها ويضغط اخر من العلماء اختير عضوا في ولاية بغداد وعضوا في مجلسها العمومي، وفي عام ١٩١٧ عين مديراً للاوقاف فانجز جامعاً يبث مبادئ الحرية وكان يقول (الحرية الحرية.. هيأ لتحرير العراق من الاحتلال..)..! وكان من رعيل الفكرة العربية، ومنذ فجر حياته العلمية، وفي وثائق الاوقاف العثمانية ارتياب من دوره الديني، وكان الانكليز يصفونه في تقاريرهم بانه: (عالم مشاكس لايعتمد عليه) اذ كان الانكليز يبحثون في احتلالهم او في انتدابهم عن علماء الكياسة والمسالمة، والشيخ احمد الثائر بطبعه ليس من هؤلاء المسالمين، فقد شاهده الانكليز يعرض الجمهور بالانتماء الى (حرس الاستقلال) سنة ١٩١٩ وهو الحزب الذي مهد لثورة العرين، وكان قد جعل بيته منطلق الشرارة في هذه الثورة التحررية، فيه يجتمع السيد محمد الصدر رئيس الحزب، وفيه تصدر بيانات الثورة العراقية، ولما شعر الانكليز بان بيت الشيخ احمد اضحى قلعة الثوار هجموا عليه، وحملوا الشيخ احمد في سيارة عسكرية وهو بثياب النوم ووثقوا يديه ونفوه الى جزيرة (هنجام) وعاد مع عودة احرار العراق، وهو ثائر يصنع قدر الثورة بيديه وقدر العراق بافكاره..!

وقال له الملك فيصل الاول في اول زيارة لبيته: (ايها الشيخ احمد.. افكارك هي افكارنا..) وهز الشيخ احمد رأسه معلقا، (ايها الشريف فيصل.. نشاركك على حب العراق..) وخرج فيصل واصدر امرا بتعيين الشيخ احمد عضوا في لجنة الانتخابات وعضوا في (المجلس التأسيسي؟)، وفي هذا المجلس قال: (لا.. المعاهدة العراقية البريطانية حرام)..!

وقد تعرف على كلمة (لا) وهو يدرس الدين، ودرسه على وفق ان كلمة (لا) في الدين تعني الرفض لكل شيء مضر، او قبيح او شاذ، وفي ضوء معرفته هذه اسهم او اسس احزابا وطنية ففي عام ١٩٢٢ اسس مع جعفر ابي التمن ومهدي البصير (الحزب الوطني العراقي) وفي عام ١٩٢٤ أسس ورأس (حزب الامة) وكان معه في التأسيس جعفر الشبيبي وداود السعدي وفي عام ١٩٣٤ اسس مع علي جودت الأيوبي ونجيب الراوي (حزب الوحدة الوطنية).. وفي برامج هذه الأحزاب كانت اصابع الشيخ احمد تكتب او تؤشر ثلاثة مبادئ هي التحرر من اية طائفية، وجمع الأحزاب الوطنية في حزب واحد لان في تعددها ضربا للوحدة الوطنية والعمل من اجل عراق قوي..!

وانتخب في مجلس النواب، في الدورة الانتخابية الاولى (١٩٢٥-١٩٢٨) وفي الدورة الانتخابية الثانية (١٩٢٨-١٩٣٠) وفي الدورة الانتخابية الخامسة (١٩٣٤-١٩٣٥)، وكانت نيابته نيابة وطنية تجسدت في ثلاثة مبادىء وهي: رفض المعاهدة العراقية البريطانية، والدعوة الى تحديث العراق بتحديث دولته، وتصفية المستشار البريطاني، وفي محاضر البرلمان العراقي على عهد الملكية يبدو الشيخ احمد ذلك اللسان الذي ترجم قلوب الاكثرية بامانة ضميره. وفي وزارة عبد المحسن السعدون الثالثة (١٩٢٩-١٩٢٩) عين الشيخ احمد وزيراً للأوقاف وفي وزارته سعى الى توحيد الصوم والاعياد بين طوائف المسلمين، كما اسهم مع وزراء في تخفيض الضرائب وتعجيل انجاز التشريع فيما يخص اصدار عملة عراقية مستقلة، كما دعا الى حماية المصنوعات العراقية من المزاحمة الأجنبية، وسواء كان في نيابته ام في وزارته هو المشرع والمخطط والبارع في تخريج المواقف النبيلة لصالح عراق يواكب التحديث الحضاري، بل كان فضيلة ومنبرا وجهاداً.

والى ذلك كله كان اديبا يوجه شاعر ينسج القصيدة على قدر الموقف الوطني واصدر عدة كتب في اغراض بحثية عامة، منها: (رسالة في جواز تنوع الملائكة وماثلتها لبعض الحيوانات الارضية) و(الايات البينات) و(المواهب الرحمانية..) وصدرت كتبه مجردة من تواريخ طباعتها، سواء كان في مؤلفاته ام في دوره الوطني ام في انشطة عقله الاخرى، هو ، هو، بذلك الانسجام الروحي بين داخله الذي قد من ارادة عليا، ومظهره الخارجي الذي قد اضاء من صلابة اباءه الاول، وكان ايضا قلبا كبيرا ينبض بروحية التاريخ.

جريدة البلاد وعميدها يكرمون ابراهيم المازني في نادي المحامين بحضور عدد من النخبة العراقية من بينهم صبيحة الشيخ داود ببغداد عام ١٩٤٥.

صفحات لم تذكر في اول الطريق

بقلم صبيحة الشيخ داود

وحدة الفريق الربيعي ترعى اول حملة لمكافحة الامية بين الفتيات العراقيات عندما كان الامهات يرافقن بناتهن الى المدرسة لتسليمهن واستلامهن احتجاجات الاباء لدهول طبيب الى المدرسة ولتدريب البنات على كرة السلة

بقلم الاستاذة صبيحة الشيخ داود عضو محكمة الاحداث

الاستاذة صبيحة الشيخ داود، من رائدات النهضة النسوية في عراقنا الحديث وقد اسهمت بالكثير من الجهود في سبيل توال المرأة العراقية لما هي جديرة به من الحياة الكريمة الحرة. ولقد سبق ان اودعت في كتابها الفذ (اول الطريق) الكثير من الذكريات الطريفة عن جهاد المراة العراقية ولقد طلبت الايام من الحقوقية الاولى اتحافها ببعض ما لم ينشر من فصول كتابه السالف الذكر، فاتحفتنا بهذه المقار ننشره شاكرين.

.. من نافلة القول انه لا ما يجعلها اكثر رسوخا من بمكن معرفة التطور المدهش لدى رأته الحركة النسائية في العراق خلال الاثنين والاربعين عاما المنصرمة عن التيارات الزاخرة التي كانت تجري في ميادين القدم الاخرى في البلاد لكن النهضة النسوية تميزت عن غيرها بصدورها من معين استعداد العراقية) ذاتها للانتقال من طور الى يخر بروح من الوعي والادراك التامين ومن ثم فقد كان من اميز خطوط النهضة النسوية، قابليتها للتكيف والتدرج.

.. وما كانت الحركة النسائية في العراق بهاتين الظاهرتين: الاستعداد والتدرج الحركات المماثلة التي قامت في بلدان قريبة من الشرق الاوسط، وابعد في نتاجها وبالتالي فلم يقف امام خطاها المتئدة شيء من الانتكاسات او الرجوعية التي اصابت تلك الحركات بعد سنوات قليلة من بروزها.

ومع ذلك فلا يجب ان نغفل عاملا مهما لعب دوره في الحركة النسائية العراقية وسدة خطواتها خلال هذه العقبة من عمر العراق الحديث واعني به التعليم النسوي الذي يجب ان نرد اليه كل النتائج الضخمة التي حصلت المراة عليها باعتبارها ثمرة كفاح طويل تم بعدم اسباب الاستشهاد، ولا التضحية والفداء.

×××

في حزيران الماضي كنت اتابع لساعات طويلة، وقائعالاحتفال بالمتخرجين في جامعة بغداد وقد هز اعطاف نفسي افواج من فتياتنا يتقدمن بازيائهن الجامعية مع زملائهن من الطلبة في خطوات قوية، تتألق في افاقهن لمحات الامل وتلمع على وجوههن اشراقة المستقبل الزاهر ونخطر على مباسمهن ضحكة الغد السعيد وطلعة النور الجديد. في خلال الساعات الثلاث التي ساق التلفزيون العراقي فيها هذا المشهد في اطار من الروعة الخالبة، وازجاه في الوان من البراعه الساحرة استطاع ان يحرك في كل نفس صورة جميلة من صور الاهتزاز والاكبار لاسيمى الاهداف التي كانت المراة العراقية تنشدها منذ ان بزع فجر النهضة اعلى هذا الوادي السعيد.

ولم استطع – ان اغالب دموعي ولا انكاري وسط هذا التيار الدافق الذي كانت توحيه صورة الجامعيات العراقيات في ذلك الموكب الباهر. لم استطع ان اسقط من حسابي مبلغ الجهد والنضال الذي قدمته المراة العراقية وهي تضع قدمها في (اول الطريق) لتكتب خطوط المعركة التي خاضتها وتتحمل في سبيل ذلك من العنت ما يهد الجبال.

×××

واعود ثانية فأوكد بان اندفاع النهضة النسوية الذي نشهد اثاره اليوم في كل مان كان نابعا من (استعداد) العراقية للعلم ولقبول مفاهيم التطور الصحيحة التي عززت خطواتها وقادتها الى شاطئ الامان.

ويخطر ببالي مصداقا لهذا الاستعداد الذي اشرت اليه انه ما كاد يعلن عن فتح صفوف لمكافحة الامية قبل اكثر من ٣٥ سنة حتى كانت والدة السيد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة وخالته في مقدمة اللواتي انخرطن في هذه الصفوف، ولم تقف ظروفهن المنزلية ومسؤوليتهن كأمهات دون الاقبال على التعليم وكان وجود هاتين السيدتين الفاضلتين المثل الرائع على قابلية العراقية وتهيئها لقبول كل جديد في حدود الرسالة التي تؤمن بها وهي رسالة اجتماعية وثقافية وانسانية في وقت واحد.

×××

ومما تعيه الذاكرة من ايام تلك الحقبة ما يتصل بالمدرسة المركزية للبنات وهو بعد قطعا من الاحداث البارزة في تاريخ التعليم النسوي باعتبارها اولى المدارس التي انشئت في بداية الحكم الاهلي. وبغض النظر عن الظروف القاسية التي احاطت بالمدرسة وبتعليم العدد المحدود من الطالبات اللواتي كانت تضمهن فلا مناص من ان اذكر الان بان العادة المتبعة ولسنوات عديدة بعد انشاء المدرسة المذكورة كانت تقضي بان ترافق التلميذة والدتها او شقيقتها او احدى قريباتها كل يوم قبل ابتداء الدروس وبعد انتهائها.

وكان اولياء الطالبة يصرون على ان (يسلموا) بناتهم الى الادارة او المدرسة المراقبة يدا بيد ولم يكن يجوز مطلقا بحكم ذلك النظام الذي استنه اولياء الطالبات ان تغادر الطالبة بناية المدرسة الا بعد ان تتأكد الادارة من وصول والدتها او شقيقتها او المسؤولين عنها.

كانت الصلة بين المدرسة وبين ذوي الطالبات قوية الى ابعد الحدود. وكانت اية تغييرات او اصلاحات يقتضيها وضع المدرسة وتطويرها العلمي تثير غضب الكثيرين من اسر الطالبات حتى انها ادت في احيان كثيرة الى جر اولئك نحو اتخاذ قرارات حاسمة قطعت نهائيا كل صلة بين فتياتهم وبين المدرسة واضطرتهن فعلا الى الانصراف نهائيا عن طلب العلم. ويخطر في بالي ايضا الثورة العاصفة التي مأت قلوب اولياء الطالبات في تلك الحقبة التي كان تعليم الاناث لقطع خطواته الاولى. كانت وزارة المعارف قد كلفت احد الاطباء ترافقه ممرضة بزيارة المدرسة للقيام بالفحوص الطبية والتأكد من سلامة الطالبات من التراخوما ولم يفتقر ذلك المشهد العجيب الى شيء من الطرافة المتصنعة. كان كل شيء طبيعيا. الطالبات يرتدين حجابا كاملا شبيها بالحجاب الذي ترتديه المراة اليمانية اليوم ولا يظهر من وجوههن غير نسخة صغيرة تطل منها عيونهن القلقة.. والطبيب وقف مكتوفا لم تتحرك في وجهة عضلة واحدة بينما كانت حبات العرق تتجمع بغزارة على جبينه.

وسمع اولياء الطالبات بزيارة الطبيب للمدرسة فبادروا فورا الى ارسال الاحتجاجات الصارخة حتى اضطر الطبيب في الاخير الى التخلي عن معالجة الطالبات وتكليف الممرضة التي كانت تساعده القيام بهذه المهمة وحدها.

×××

ومما تعيه الذاكرة ايضا ان اولياء الطالبات ثاروا مرة اخرى عندما قررت المدرسة ادخال بعض الالعاب الرياضية ومنها كرة اللة وبعض الالعاب التي تتلاءم وطبيعة المرأة.

وجوبهت ادارة المدرسة باحتجاجات لا تقل في القسوة والعنوف عن سابقتها وقد حسب اولياء الطالبات يومذاك ان الرياضة البدنية ملهاة من شانها تعليم فتياتهم الرقص والخروج على اسباب الحشمة.

واحنت ادارة المدرسة راسها لهذه العاصفة فاتخذت قرارا باعتبارها ممارسة الرياضة البدنية اختيارية ولكست وجوبية .. ومن ثم كانت النتيجة ان عشر طالبات فقط قد وافقن على الدخول في الفرق الرياضية اذكر من بينهن كريمات شقيقة السيد نوري فتاح وبديعة الفلاحي وناهدة الشابندر..

صبيحة الشيخ داود

رائـــدة الـنـهـضـة الـنـسـويـة فـي الـعـراق

ميـر بصري

اذا ذكرت النهضة النسائية في العراق فلا ريب انها تقترن باسم الاديبة الحقوقية صبيحة الشيخ احمد الداود رائدة الدراسة النسوية العالية ومؤلفة كتاب «اول الطريق».

ولدت صبيحة ابنة احمد الشيخ داود (الذي اصبح فيما بعد وزير الاوقاف) في بغداد سنة ١٩١٢. واقيم في بغداد في شباط ١٩٢٢ المهرجان الادبي المعروف باسم سوق عكاظ، فدعيت وهي فتاة صغيرة الى تمثيل دور الشاعرة الخنساء، فاعتلت ظهر جمل والقت قصيدة. قال امين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» (الجزء الثاني): «اقام جماعة المعهد العلمي سوق عكاظ في عاصمة العباسيين، وكانت اول حفلة باهرة فريدة بعد التتويج، حضرها جلالة الملك فيصل، فجلس في فسطاط بين النخيل يسمع الشعراء ينشدون والخطباء يخطبون. وكان قس بن ساعدة في مقدمة الخطباء يمثله احد الصبيان الاذكياء، وكانت الخنساء في طليعة الشعراء تتلو قصيدتها احدى الاوانس المسلمات سافرة صافنة..».

وتخرجت صبيحة الشيخ داود في دار المعلمات الابتدائية فعينت معلمة في المدارس الرسمية في ايلول ١٩٢٧. ثم انتمت الى كلية الحقوق سنة ١٩٣٦، فكانت اول فتاة وطأت اقدامها هذا المعهد. ولما تخرجت بعد اربع سنوات عينت مفتشة في وزارة المعارف (ايلول ١٩٤٠) فمدرسة بدار المعلمات الابتدائية (أيار ١٩٥٠). ونقلت سنة ١٩٥٦ عضوا بمحكمة الاحداث، فظلت فيها حتى اعتزلت الخدمة في كانون الثاني سنة ١٩٧٠، وانصرفت الى ممارسة المحاماة والفت كتاب «تجربتي في قضاء الاحداث».

ساهمت في النهضة النسائية فاشتركت في المؤتمر النسائي الاول الذي عقد ببغداد في تشرين الاول ١٩٣٢ واختيرت سكرتيرة له والقت محاضرة عن حقوق المرأة المسلمة. واشتركت بعد ذلك في المؤتمر النسائي العربي في بغداد (اذا ١٩٥٢)، وكانت لها جهود مذكورة في الجمعيات الخيرية كالهلال الاحمر وحماية الاطفال الخ.

ووضعت كتابها «اول الطريق» الى النهضة النسوية في العراق (١٩٥٨) ، كتب مقدمته منير القاضي، فقال: «وكانت مؤلفة الكتابة الاستاذة صبيحة الشيخ داود، عضو محكمة الاحداث، اول فتاة دخلت كلية في العراق، وهي كلية الحقوق، باستثناء فتاة اخرى دخلت كلية الطب، وكنت انذاك عميد كلية الحقوق. وقد وجدت فيها النشاط والانصراف التام الى الدراسة والتتبع ، فتوسمت فيها كل الخير، وحدست انها ستكون القدوة الصالحة لاخواتها الفتيات العراقيات. وقد صدق حدسي، كما انها قررت ان تقوم بخدمات صالحة في المجتمع النسوي في العراق، وانها ستنشر مؤلفات وابحاثا علمية. فكان ما حزرت، فقد كتبت ابحاثا في مواضيح مختلفة نشرت في المجلات والجرائد، وكان أخر ما وقفت عليه من ثمار اعمالها كتابها «اول الطريق»...

وقد دفعني الى كتابة هذه المقدمة قيام الصلة الوثيقة بيننا، صلة استاذ مخلص مع تلميذة نجيبة وفية. فقد قضيت في تدريسها مع زملائها اربع سنوات في كلية الحقوق، وهي الفتاة الوحيدة بين نحو الف طالب يحترمونها وتحترمهم ويقدرون نشاطها وسعيها، وتقدر اديهم وحسن سيرم معها على وجه المساواة والحرمة المتبادلة..».

توفيت صبيحة الشيخ داود ببغداد في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٥.

كانت صبيحة الشيخ داود ابنة رجل دين مثقف عصري النزعة اتاح لها الدرس والإنخراط في سلك التعليم والقضاء. فاذا ذكرت باحثة البادية ومي زيادة وهدى شعراوي في مصر فلا بد من ذكر قرينتهن صبيحة في العراق.

كان لها صالون ادبي يعقد كل اسبوع في دارها المطلة على دجلة فيحضره رجال الفضل والصحافة والادب والسلك الدبلوماسي. وقد زارت الاقطار العربية مرارا واتصلت برائدات النهضة النسوية فيها. قال جعفر الخليلي ان صبيحة متأنقة في لباسها، صريحة في قولها، يكاد لسانها ينطق بكل ما في صدرها، صبيحة الوجه حلوة الشمائل بعيدة عن التكلف الى حد معقول.

عن كتاب اعلام الادب في العراق الحديث الجزء الثاني

صدر كتاب «اول الطريق في النهضة النسوية في العراق» لصبيحة الشيخ داود في اذار عام ١٩٥٨ في بغداد – مطابع الرابطة – وهو يعد اول كتاب نسوي في العراق ان المؤلفة صبيحة الشيخ احمد داود (١٩١٥-١٩٧٥) رائدة النهضة العراقية واول طالبة جامعية مسلمة في العراق كما انها اول طالبة تدرس في كلية الحقوق بجامعة بغداد وكذلك اول محامية عراقية. في هذا الكتاب تحلل المؤلفة هذه النهضة منذ بداياتها واواخر القرن التاسع عشر وتطورها حتى سنة اصدار ذلك الكتاب عام ١٩٥٨.

تنحدر صبيحة الشيخ احمد داود من اصول عائلية مهمة ومؤثرة في تاريخ العراق: فوالدها الشيخ احمد داود كان وزيرا للاوقاف عام ١٩٢٨ وعضوا في البرلمان العراقي كما انه لعب دورا بارزا في مناهضة الاستعمار البريطاني على العراق اثناء مشاركته في ثورة العشرين انضم الى صفوف شخصيات لامعة في الحركة الوطنية العراقية كالشيخ يوسف السويدي وجعفر ابو التمن والسيد محمد لصدر. اما والدتها نعيمة سلطان حمودة فهي شخصية بارزة واحدى النساء اللواتي اسسن اول جمعية نسوية عراقية.

(أول الطريق)

لصبيحة الشيخ داود

يبتدأ الكتاب بمقدمة للاستاذ منير القاضي الذي كان وزيرا سابقا للمعارف ورئيسا للمجمع العلمي العراقي كما انه استاذا للمؤلفة في كلية الحقوق، استعرضت صبيحة عبد فصول الكتاب السبعة عشرة مشاركة المرأة في ثورة العشرين وتقدم النساء العراقيات في مجال التعليم والثقافة والعمل وما تلاها من تأسيس جمعيات نسائية تهتم بمكافحة الامية، ومن ثم مشاركة المنظمات والجمعيات السياسية النسوية بالمؤتمرات القومية العربية وما تمخض عنه ذلك من المطالبة بالحصول على كامل الحقوق السياسية للمرأة العربية.

اختمرت فكرة تاليف «اول الطريق» عند صبيحة اثر القائها محاضرة يوم ١٩ اذار ١٩٥٦، بدعوة من عميد دار المعلمين السابق خالد الهاشمي، بعنوان «ملامح من النهضة النسوية» ادركت من خلال اهتمام الجمهور بمحاضرتها ضرورة كتابة تاريخ للنهضة النسوية وتسجيل ملامحها على يد احدى ممثلاتها والشاهدات عليها كي لا ينسى هذا التاريخ وحتى يستلهم منها الباحثون والمؤرخون والناشطون في المستقبل.

العراقية في ثورة العشرين

استهلت المؤلفة كتابها بتناول دور المرأة العراقية في ثورة العشرين واكدت ان النساء سواء كن من المدينيات او من الريفيات قد تمتعن بوعي وفهم الاهداف الوطنية وضرورات الاستقلال بشكل لا يقل عما ابداه الرجال. فذكرت ان النساء شاركن في النضال ضد المستعمرين البريطانيين في كافة مراحله من مساعدة المقاتلين «تحمل امتعتهم وتاتيهم بالزاد والمال، وتستنفرهم الى القتال وتثير النخوة في نفوسهم بالزغاريد واهازيج الهوسات، وحتى انها شاركت في القتال واكدت صبيحة ان ارتداء العباءات لم تمنع العراقيات من المشاركة التامة بـ «الجهاد، كما تشير اول مظاهرة سارت فيها المرأة العراقية للتعبير عن اتجاهاتها الوطنية إثر استشهاد عبد الكريم النجار، المعروف بالأخرس عام ١٩٢٠ فشارك عدد كبير من النساء في التشييع وهن مرتديات العباءات السود وساترات وجوههن وراء الحجب الثقيلة ورافعات اصواتهن بالهتافات الوطنية المناهضة للانجليز.

استشهدت المؤلفة بنموذج خاص من نساء الارياف وهي امرأة من عشيرة بني عارض في الرميثة التي حارب زوجها واولادها الثلاث ثم قتل اثنان من اولادها وكذلك زوجها فوقفت في وسط المعركة ناثرة شعرها وهي تصرخ مشجعة المحاربين على القتال. فلما قتل ولدها الاكبر جلست تلثم جروحه وتقول:

عنية اولدي شيال راسي
ردتك ترد ذوله الجواسي
وبموتتك كويت بأسي

وكذلك ذكرت نجيدة من بني حجيم التي اصرت على ولدها، وهو في الثامنة عشرة المتزوج منذ سبعة ايام فقط، ان يحتل مكان ابيه بين المقاتلين بعد استشهاده في معركة بين الثوار الانجليز.

ثم تحدثت صبيحة عن مشاركة نساء المدينة في الثورة وعن والدتها خاصة التي قادت احتجاجات لسيدات عراقيات قدمت لمس بل مذكرة تدين الاعتقال والتهجير القسري الى امكنة مجهولة لعدد من السياسيين الوطنيين ومن ضمنهم الشيخ احمد داود والد المؤلفة.

التعليم النسوي

تناولت صبيحة تطور التعليم النسوي منذ بروزه حتى دخول المرأة مجال التعليم العالي وتزايد عدد الخريجات.

فتحدثت عن انشاء اول مدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنات بقرار الوالي نامق باشا عام ١٨٩٩ ودعاها «اناث رشدية مكتبي». في هذا السياق تحكي المؤلفة عن جميل صدقي الزهاوي «رواية طريفة»: فالشاعر المشهور كان من ضمن مجلس المعارف في تلك الفترة وشارك في نقاش حول افتتاح هذه المدرسة في بغداد مع اعضاءه الذين كان غالبيتهم علماء ورجالا متدينين. فقد بداوا يتناقشون حول البناء الصالح الذي يمكن ان يكون مقرا لمدرسة الاناث، «فطال جدلهم وتعددت شروطهم في تلك الدار، اذ كان رأيهم ان تتصف بما يلي: ١) ان لا تكون احدى الدور المجاورة مشرفة عليها. ٢) ان لا تكون شبابيكها مطلة على الشارع. ٣) ان لا يكون في الدور المجاورة اشجار عالية». فصمت الزهاوي طوال الوقت وبعدما سكت الجميع قال بسخرية ان المكان الوحيد الذي يناسب مطالب اصحاب المجلس هو منارة سوق الغزل التي هي اعلى مكان في بغداد، ثم ان الفتيات يصعدن سلالمه دون ان يراهن احد، وليس له شبابيك. ثم اذا تكلمن فلا يسمع صوتهن احد! فضحك الوالي وضحك الجميع». واتفقوا اخيرا على احدى الدور الواقعة في محلة الميدان الجديدة وسجلت ٩٠ تلميذة فيها

ولقد تحدثت المؤلفة عن الصعوبات التي واجهها مسؤول المعارف حكمت سليمان عند تاسيس المدرسة الخاتونية للبنات في بغداد عام ١٩١٧. فقد تشجع على انشاء هذه المدرسة اثر زيارته مدرسة الايتس للبنات التي ضمت ١٠٠٠ تلميذة من الفتيات اليهوديات فتاثر باهتمام الاسر اليهودية بتعليم بناتهم واصبح اكثر اصرارا على تاسيس مدرسة للبنات المسلمات ان اول مدرسة للاناث تفتتح على يد امراة وهي زهراء خضر. شقيقة الاستاذ عبد الرحمن خضر. عام ١٩١٨، ضمت ٤٠ تلميذة توزعن على ثلاثة صفوف درسن فيها القرآن والرياضيات وبعض الفنون المنزلية.

بدأ تقدم التعليم النسوي في بغداد مع افتتاح مدرسة المس كيلي للاناث في الجادة الكبرى في الميدان في كانون الثاني ١٩٢٠ وبعد ذلك افتتحت اول مدرسة للاناث في النجف عام ١٩٣٥ اما اول دار للمعلمات فقد افتتحت عام ١٩٢٨ بقرار من ساطع الحصري وزير المعارف في تلك الفترة ومن ابرز مؤيدي التعليم النسوي. وفي اطار تقدم التعليم النسوي في الثلاثينيات لابد من ذكر مساهمة الاستاذ جعفر الخليلي الذي دافع بشدة في كتاباته عن تعليم الاناث.

وهكذا روجت فكرة ضرورة التعليم النسوي شجعت على صعيد العراق مما ادى الى تزايد ملفت في عدد المدارس والتلميذات. فعدد التلميذات في المرحلة الابتدائية ارتفع من ٤٦٢ تلميذة توزعن على ثلاث مدارس للاناث في السنة الدراسية ١٩٢٠-١٩٢١ الى ١٧٧٦٥ تلميذة توزعن على ١٢١ مدرسة في السنة الدراسية ١٩٣٥-١٩٣٦ ثم وصل العدد الى ١١١٢٠٨ تلميذة في ٣٢٩ مدرسة للاناث عام ١٩٥٦-١٩٥٧ اما تلميذات المرحلة الاعدادية فبلغ عددهن احدى عشرة تلميذة في المدرسة الوحيدة الاولى في السنة الدراسية ١٩٢٩-١٩٣٠ واصبح عددهن ١٢٨٨٥ توزعن على اكثر من ٥٠ مدرسة سنة ١٩٥٦-١٩٥٧ كما افتتحت دور المعلمات في كل محافظات العراق والتي كان عدد طالباتها يزداد مئة كل سنة.

اما بالنسبة للتعليم العالي فقد تحدثت المؤلفة عن تجربتها كاول طالبة جامعية مسلمة في العراق دخلت كلية القانون في جامعة بغداد عام ١٩٣٦ وكانت المرأة الوحيدة بين ١٨٠ طالب. قبل ذلك كانت على البنات في العراق اللواتي ينوين الدراسة الجامعية ان يسافرن الى خارج بلدهن. اصر والد المؤلفة الشيخ احمد داود على دخول ابنته الجامعة في العراق اي مع الطلاب الذكور حتى يتسنى لجميع الفتيات العراقيات دخول الجامعة وعدم الاضطرار للسفر للخارج فليس لدى جميعهن الامكانية المادية لذلك. فحسب المؤلفة تحسن لدخولها الجامعة قائلا: «بالنسبة لي لا تهمني تكاليف التعليم في الخارج؛ فان الله قد وسع علينا في الرزق، ولكن ماذا تعمل الفتيات الفقيرات اللاتي لا تمكنهن احوالهن المادية من تحصيل التعليم العالي في الخارج؟ هل يقضى عليهن بالحرمان من نعمة العلم؛ ثم هل من قانون يحظر على الفتيات الانتساب الى الكليات المختلطة؟». فاخترقت صبيحة مباني الكلية وهي ترتدي العباءة وتضع البرقع الاسود على وجهها وكانت تنزعه لدى وصولها الى باب الكلية. تحدثت طويلا في الفصل الخامس من الكتاب عن معاناتها مع الطلاب الذكور الذين كانوا يسخرون منها واستنكر بعض الاساتذة وجودها وقضت السنة الاولى كلها في «اللوج» المنفرد كالسجينة حسب قولها: «في سجن لا اتحدث مع احد، ولا يتحدث معي الا قليل منهم، وكنت اجلس فوق مقعدي اربع ساعات كل يوم قابعة في عباءتي».

في تلك الفترة كانت صبيحة واسرتها واعيين تماما لاهمية وجودها في صفوف الكلية قد فتحت طريق التعليم العالي للفتيات العراقيات كونها بنت عالم ديني معروف صاحب وهو ذو اثر عميق على ضمير وافكار المسلمين في العراق. وبالفعل تقول صبيحة ان ما بين دخولها الى الجامعة عام ١٩٣٦ وتخرجها منها تحولت مواقف كثير من العراقيين افتتحت ابواب الكليات للفتيات العراقيات فازداد عدد خريجات التعليم العالي من خريجة واحدة في السنة ١٩٤٠ الى ٢٥٠ خريجة سنة ١٩٥٦.

نادي النهضة النسائية

تأسس نادي النهضة النسائية عام ١٩٢٣ وهو اول ناد للمرأة العراقية وكانت اسماء الزهاوي شقيقة الشاعر المشهور جميل صدقي الزهاوي – اول رئيسة له اشارت المؤلفة الى ان تاسيس النادي كباقي الانشطة النسائية العراقية كان متاثرا خاصة في بداية العشرينيات – بالحركات النسائية التركية والسورية والمصرية، استند انشاء هذا النادي في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٣ الى اهداف خيرية ومجتمعية وهي:

- افتتاح دورة لتعليم الاميات.
- خياطة الملابس للفقيرات.
- تربية وتعليم عدد من اليتيمات.

انتمت شخصيات عراقيات بارزات الى النادي منذ تأسيسه فمنهن: شقيقات لسياسيين ومسؤولين مهمين على صعيد العراق في تلك الفترة كنعيمة نوري السعيد، وعقيلة السيد جعفر العسكري الذي كان رئيسا لوزراء يومذاك وايضا نعيمة سلطان حمودة – والدة المؤلفة – والانسة حسيبة جعفر بك والانسة بولينا حسون – صاحبة مجلة ليلى.

اما نادي النهضة العراقية فكان من اوائل الجمعيات النسائية في العراق وكما يظهر في اهدافه التأسيسية كان جمعية مجتمعية تسعى الى مساعدة الفقراء ومحو الامية وتربية وتعليم الفتيات اليتيمات. من الواضح ان النادي منذ تأسيسه وجه نشاطاته الى اعمال اصلاحية وحصرية تعمل على تحديث المجتمع العراقي من منطلق وطني فقد روج مضمون التعليم في النادي من خلال الدورات التربوية والتعليمية لافكار ومبادئ النهضة الوطنية العربية والمصرية. فمكافحة الجهل والامية كانت جزءا كبيرا من المشروع الاصلاحي

هكذا روجت فكرة ضرورة التعليم النسوي شجعت على صعيد العراق مما ادى الى تزايد ملفت في عدد المدارس والتلميذات. فعدد التلميذات في المرحلة الابتدائية ارتفع من 462 تلميذة توزعن على ثلاث مدارس للاناث في السنة الدراسية 1920-1921 الى 17765 تلميذة توزعن على 121 مدرسة في السنة الدراسية 1935-1936 .

النهضة العربي وكذلك التعليم النسوي ومحو الامية النسائية اضافة الى ذلك نظم نادي النهضة النسائية ناديا ادبيا وفكريا يستقبل ابرز المفكرين المعاصرين وتناقش فيه اهم اشكاليات وقضايا العصر.

اهم انصار النهضة النسوية في العراق كرست المؤلفة فصلا كاملا من الكتاب للحديث عن مساهمة الملك فيصل في النهضة النسوية العراقية وعبرت بطريقة مباشرة وصريحة عن اعجابها باول ملك للعراق والذي تطلق عليه لقب «فيصل نصير المرأة» فذكرت صبيحة ان الملك استقبل في قصره وفدا من عضوات نادي النهضة النسائية وقد اهدى النادي بيتا عام ١٩٢٤ ليكون مقرا له. واكدت على ان الملك كان حريصا جدا على تطور التعليم النسوي وقضايا المرأة العراقية فقد افتتح، اضافة الى مدرسة لتعليم فتيات الاسرة المالكة، مدرسة للتمريض للاناث وكذلك فرقة رياضية نسائية في قصره.

خصصت صبيحة الشيخ داود ايضا فصلا كاملا بعنوان «مفكرون انتصروا للمرأة» تذكر فيه «المجتهد النجفي الذي دعا الى تعليم المرأة» وهو العلامة الشيخ محمد حسين النائيني وذكرت ايضا مساهمة الشخصيات النهضوية المشهورة كمعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وساطع الحصري ورفائيل بطي.

لقد مدحت طويلا صبيحة العلامة محمد حسين النائيني (١٨٦٠-١٩٣٦) لانفتاحه وحداثة فكره ولاسيما مواقفه ازاء «قضية المرأة» فذكرت ان العلامة النائيني استشهد مرارا بالحديث: «العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، كي يدافع عن التعليم النسوي وقد ترك الاثر الكبير عند علماء النجف في مواقفه التقدمية بالرغم من الانتقادات الشديدة التي وجهها كثير من علماء الشيعة التقليديين تضمنت جريدة الفجر الصادق، التي كان يديرها الاستاذ جعفر الخليلي والتي كانت تصدر في النجف في الثلاثينيات، رسالات النائيني وانتشرت من خلالها الدعوة للنهضة النسوية.

ثم ذكرت الشاعر الكبير المشهور معروف الرصافي (١٨٧٥-١٩٤٥) ومواقفه القوية والصريحة الداعمة لحرية المرأة والمساواة بين الجنسين فاستشهدت ببعض قصائده التي تدافع عن حقوق المرأة وتدين الظلم الذي تعيشه المرأة العربية والمسلمة عموما باسم الدين والتقاليد العرقية، فعلى سبيل المثال ابيات القصيدة «التربية والامهات».

أأم المؤمنين اليك تشكو
مصيبتنا بجهل المؤمنات
وقالوا: شرعة الاسلام تقضي
بتفضيل (اللذين) على (اللواتي)
وقالوا: ان معنى العلم شيء
تضيق به صدور الغائبات
وقالوا: الجاهلات اعف نفسا
عن الفحشا من المتعلمات
لقد كذبوا على الاسلام كذبا
نزول السم منه مزلزلات

وفي قصيدة اخرى من مجموعة «النساثيات» في ديوان الرصافي يرد على واصفي النساء بالناقصات ويدين اساس هذا الموقف:

يقولون لي: ان النساء نواقص
ويدلون فيما هم يقولون بسمع
فانكرت ما قالوه والعقل شاهدي
وما انا في انكار ذلك بالبدع
اذا النخلة العيطاء اصبح طلعها
ضعيفا فليس اللوم عندي على الطلع
ولكن على الجذع الذي هو ثابت
بمنبت سوء فالنقيصة في الجذع

وبعد ذلك ذكرت الشخصية المعروفة جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦) وهو حسب قولها «شاعر الفكر والحرية» ومن اهم منتقدي تشدد مواقف السلطة الدينية ازاء المرأة ومثل الرصافي كان يدافع عن حرية المراة ويلح على ضرورة تخلصها من عبء التقاليد والقراءات الدينية المتطرفة التي تظلمها. وكان يدافع عن المساواة ولا يرى فرقا في المؤهلات والكفاءات العقلية بين الجنسين ويعد المرأة رمز التقدم والعمران كما تشير ابياته الاتية المشهورة:

انما المرأة والمرء
سواء في الجدارة
علموا المرأة فالمر
اة عنوان الحضارة

وفي الابيات التالية يتناول مشكلة الزواج وظلم المراة بسبب تكبر الزوج عليها:

مهما به احتفلت بعد الزواج
تلقى سوى ذي غرور غير محتفل
تراه زوجا على ارغامه بطلا
وفي سوى ذاك ليس الزوج بالبطل
قامت بخدمته جهد استطاعتها
تريد منه لها ميلا فلم يمل

ثم تحدثت صبيحة عمن تعده من رواد النهضة العربية وهو ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨) وتقارن دوره في العلم العربي بالذي لعبه جمال الدين الافغاني «قائد الحركة الفكرية في الشرق الحديث» حسب قولها. فتشير الى ان الحصري لعب دورا مهما في تعليم المرأة في العراق كما اوردنا ولاسيما عندما قرر افتتاح دار المعلمات وتؤكد انه كان من ابرز مشجعي التعليم النسوي.

واخيرا فالنسبة للميدان الصحفي والادبي فقد تحدثت المؤلفة عن مساهمة رفائيل بطي (١٩٠٠-١٩٥٦) في توثيق كفاح المرأة العراقية منذ ثورة العشرين فمؤسس صحيفة البلاد كان صاحب المؤلفات المفلتة والقيمة التي عرفت قصره.

من اليمين جمال الالوسي وصبيحة الشيخ داود وفريد فتيان في مؤتمر الادباء العرب ببغداد ١٩٦٥

اختمرت فكرة تاليف «اول الطريق» عند صبيحة اثر القائها محاضرة يوم 19 اذار 1956، بدعوة من عميد دار المعلمين السابق خالد الهاشمي، بعنوان «ملامح من النهضة النسوية» ادركت من خلال اهتمام الجمهور بمحاضرتها ضرورة كتابة تاريخ للنهضة النسوية وتسجيل ملامحها على يد احدى ممثلاتها والشاهدات عليها كي لا ينسى هذا التاريخ وحتى يستلهم منها الباحثون والمؤرخون والناشطون في المستقبل.

قضية المرأة العراقية واصرت على الدفاع عنها، وهو اول صحفي كرس صفحة كاملة للمرأة في جريدته لمتابعة تطور النهضة النسوية العراقية ولمعالجة اهم مواضيعها وقضاياها.

ظهور ومظهر المرأة العراقية: «قضية سوق عكاظ» و«معركة العراقية مع الحجاب»

تحدثت صبيحة في فصل بعنوان «قضية سوق عكاظ، عما سماه البعض في ذلك الوقت «الفضيحة» وهي مشاركة المؤلفة عندما كانت في الثامنة من عمرها في اول مهرجان ادبي في بغداد المسمى بـ«سوق عكاظ» في ٢٤ فبراير ١٩٢٤ والذي شرك فيه ابرز الشعراء والادباء ورجال الفكر والثقافة في العراق. وقع الاختيار على صبيحة لتفوقها في المدرسة!! لتلعب دور الخنساء وللتلو احدى قصائدها امام الحشور. انتشر الخبر سريعا واعلن ان «امراة سافرة سوف تشارك بالمهرجات». فبدا الجدل حول «الفضيحة» التي ستحدث في المهرجان وهددت الحكومة من قبل بعض الشخصيات لمنع مشاركة هذه «الامرأة». ولكن اسرة الشيخ داود اصرت على مشاركة ابنتها الصغيرة في المهرجان ورفض الشيخ داود تنازل ابنته عن دورها على الرغم من تهديدات الحكومة العراقية باستخدام «القوة والضغط». وفي النهاية شاركت ابنة الشيخ داود وبموافقة الملك فيصل ولعبت دور الخنساء امام الوف من سكان بغداد والاقاليم والقت قصائدها وهي تعتلي ناقة وهي ترتدي الملابس العربية الطويلة.

تنوالت صبيحة من خلال تجربتها هذه صعوبة تقبل مجتمع العراق في العشرينيات ظهور المرأة – حتى لو كانت فتاة صغيرة – في الحياة العامة رغم ارتدائها اللباس التقليدي الطويل والعريض الذي يحجب كل علامات انوثتها. ثم افردت فصلا من الكتاب سمته «معركة العراقية مع الحجاب» تتناول فيه الجدل حول لباس المرأة الذي دار في العراق في العشرينيات والثلاثينيات. فالمسألة لاقت صدى عند جميع افراد الطبقة المثقفة والسياسية ولم يكن هناك مثقف او مفكر او مسؤول سياسي لم يتخذ موقفا حول «الحجاب». والمواقف كانت متعددة واختلف فيها حول مفهوم «الحجاب» الذي عنى للبعض «البرقع» اي الحجاب الاسود الذي يغطي الوجه او العباءة التي تلبس فوق الملابس او الحجاب الذي يوضع فوق الرأس. وفي استشهادات المؤلفة بانصار ومعارضي الحجاب في كامل الكتاب فليس هناك تعريف واضح ومحدد للسفور والحجاب. فورد في الصحيفة لحسين الرحال مقالات كثيرة حول الموضوع، فمن مناصري الحجاب كان هناك من الشخصيات العراقية المعروفة المطب محمد القبانجي الذي اصدر اغنية تنتقد «مودة كص الشعر».

اذ يعدها «عادة غريبة»:

ابنيه بنت البيت كصت شعرها
عالمودة تمشي دلوع عافت سترها
عالمودة تمشي دلوع ياربي سترك
تحفظ جميع الناس منها ومكرها

وايضا:

كص الشعر كل يوم عند المزين
والركبة ركبة شاب من ورة تبين
لو للعلم تسعين يا بنتي احسن
خلي الخلاعة تروح للغرب اهلها

ومن اشد انصار الحجاب استشهدت المؤلفة بالشاعر ابراهيم ادهم الزهاوي:

رايت في النوم ابليسا فقلت له
جد الشياطين لا تبخل بتبيان
اعط الجواب لصب لا قرار له
كيف الوصوف .....

فقال مرتجلا بيتا اجاد به
وكان مختفيا هن كل انسان:
سل السفوري عما تستشير به
ان لسفوري من جندي واعواني

وايضا من منتقدي السفور استشهدت صبيحة بقصيدة حسين الظريفي بعنوان «خلوا احتجاب الغانيات وشأنه»، وكذلك بالشخصيات المهمة في الحياة السياسية العراقية كوزيرة المالية السابقين الاستاذة توفيقة الفكيكي وخليل اسماعيل وكذلك بمحمد بهجة الاثري.

وعلى الجانب الاخر كان من ابرز منتقدي الحجاب الاستاذ مصطفى علي الذي استند الى كتابات قاسم امين في دفاعه عن السفور اي سفور الوجه كما عناه قاسم امين. ونشرت الصحيفة سنة ١٩٢٩ القصيدة المشهورة «ارفعيه» لبسيم ذويب الذي ينتقد فيها البرقع اي غطاء الوجه. وقد اثارت هذه القصيدة ضجة كبيرة واثرت كثيرا على حياة هذا الشاعر الشاب:

ارفعيه
مزقيه
واطرحيه
بين احجار القبور
وانهضي سافرة الوجه وغني
هكذا كان السفور.

ليس عارا
او شنارا
ان يجاري
سير تيار الدهور
فارفعي البرقع عنك واطرحيه
تحت نيران القدور

بل دعيه
غسليه
وادفنيه
بين طيات التراب
ثم لا تبكي وقولي بارتياح:
هكذا مات الحجاب

ان سألت:
من دفنت؟
فاجبت:
انه نعش النقاب
سيقولون: عليه رحمة الله فصلي
واقرئي ام الكتاب
ظلموك
سجنوك
زوجوك
شر زوج في الوجود
قائلا زوجي: لا تخرج إلا
يوم تدعوها للحدود
قد كفانا
يا نسانا
ما لقينا
من خمول وجمود
فلذع كل قديم، لا نقلد
اننا لسنا (قرود).

ومن ابرز واهم منتقدي الحجاب الشاعرين المعروفين الذين اثرا كثيرا بالنهضة النسوية العراقية كما اوردنا معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي. فالاول الف الابيات التالية الى صاحبة مجلة الخدر:

واكبر ما اشكو من القوم انهم
يعدون تشديد الحجاب من الشرع
افي الشرع اعدام الحمام ريشها
واسكاتها فوق الغصون عن السجع
وهنا يدين الرصافي عقلية الشرقيين ازاء المرأة:

ولقومنا في الشرق حال كلما
زدت افكارا فيه زدت تعجبا
تركو النساء بحالة يرثى لها
وقضوا عليها بالحجاب تعصبا
قل للالى ضربو الحجاب على النسا
افتعلمون بما جرى تحت العبا

ومن ابيات الزهاوي المشهورة عن الحجاب الذي يعتبره من العادات وليس من الدين:

منعهن ان يرين ضياء
فتعودن عيشة الظلمات
دفنوهن قبل موت صريح
في قبول سود من الحجرات
ان هذا الحجاب في كل ارض
ضرر للفتيان والفتيات
لم يكن وضعه من الدين شيئا
انما قد اتى من العادات
وفتاة كزهرة الروض حسنا
زهرت وهي في ربيع الحياة
واشارت المؤلفة الى ماجدة الحيدري – اول امرأة عقيلة رؤوف الجادرجي – اول امرأة مسلمة «من كريمات الاسر في المدن التي دافعت عن السفور علنا وخرجت سافرة لاول مرة عام ١٩٣٣.

الجمعيات النسوية الاجتماعية والسياسية

حسب المؤلفة فان اول صيحة للمطالبة بحقوق المرأة السياسية اطلقتها بولينا حسون عبر المجلة التي اسستها «ليلى» وهي اول مجلة نسائية عراقية فطالبت في مقالة نشرت في المجلة في العدد الصادر في ١٥ اذار ١٩٢٤ بحصول المرأة على كامل حقوقها السياسية بالمساواة مع الرجل. كررت مطالبتها تلك خلال مؤتمر طهران النسوي الذي عقد اواخر عام ١٩٣٢ والذي ضم مندوبات نساء الدول الشرقية.

تأسس في الثلاثينيات عدد ملفت للنظر من الجمعيات السياسية والمنظمات النسوية الخيرية المجتمعية وايضا السياسية والدينية. ومن ابرز واشهر الجمعيات التي تحدثت عنها المؤلفة هناك النادي النسوي للهلال الاحمر الذي تأسس عام ١٩٣٣ جمعية مكافحة العلل الاجتماعية التي كانت تسمى سابقا جمعية مكافحة المسكرات التي اسستها سارة الجمالي عام ١٩٣٧. من خلال هذه الجمعيات شاركت النساء العراقيات في الرعاية الاجتماعية ومساعدة الفقراء والمحتاجين وتثقيف المجتمع بعد ذلك في الاربعينيات ساهم النشاط النسوي في مساعدة اللاجئين الفلسطينيين من خلال البيت العربي الذي افتتح عام ١٩٤٨ وكذلك جمعية بيوت الامة التي تأسست عام ١٩٣٥ اضافة الى اعمالها في مجال محو الامية (من الرجال والنساء) ومساندة الفقراء.من الجمعيات ذات الميول الدينية على سبيل المثال الجمعيات النسوية المسيحية كجمعيات الراهبات وجمعية الرفق بالفقير وجمعية الاميات التابعة للكنيسة الاثورية الانجيلية وكان هناك الفرع النسائي لجماعة الاخوان المسلمين في العراق الاخت المسلمة التي تأسست عام ١٩٥١ وكانت تعمل في مجال التربية الاسلامية ومكافحة روح التفرنج والتحلل الاخلاقي».

ومن الجمعيات ذات الميول السياسية ذكرت صبيحة ثلاث جمعيات وهي جمعية مكافحة النازية والفاشية التي تأسست عام ١٩٤٢ واصبحت جمعية الرابطة النسوية، ونادي اخوات الحرية الذي تأسس بجهد مرغريت دراور عام ١٩٤٤. لهاتين الجمعيتين اهداف خيرية اجتمعية وسياسية فقد دافعت عن حرية وحقوق المرأة وقدمت مساعدات ورعاية خيرية وثقافية مثل محو الامية ومساعدة الاولاد المرضى وقدمت ندوات ثقافية وعلمية ايضا. لكن المؤلفة توقفت طويلا عند ابرز جمعية سياسية مجتمعية وهي الاتحاد النسائي العراقي الذي تأسس إثر مؤتمر الاتحاد النسائي العربي الذي عقد بدعوة من هدى شعراوي في القاهرة سنة ١٩٤٥. دعى الاتحاد الى تضامن النساء العراقيات والعربيات للدفاع عن حقوق المرأة الاسرية والاجتمعية والسياسية واستهدف مساندة المجتمع العراقي وتثقيفه وتحضره مثل الاتحاد النسائي العراقي النساء العراقيات في المؤتمرات النسوية العربية والشرقية حيث حمل اليها المطالبات النسوية العراقية وهن اهم المؤتمرات النسوية على الصعيد العربي المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في بغداد في أيار ١٩٥٢ ومثلت فيه المؤلفة العراق. فمن خلال هذا النشاط شاركت النساء العراقيات في مشروع الوطنية العربية المتضمن الدعوة الى الوحدة العربية في اطار مجتمعات حديثة ومتقدمة تحقق اهدافا سياسية قومية كالنضال من اجل القضية الفلسطينية، وكذلك اهداف تتعلق بالحريات العامة والدعوة الى اصلاحات اجتمعية اقتصادية كالمطالبة بالعدالة الاجتماعية والمساواة بين الرجل والمرأة. فقد كانت المطالبات بحرية المراة جزءا من مطالبات التيار الاصلاحي في العراق كما هو الحال في الدول العربية عموما، فجمعية الاصلاح الشعبي على سبيل المثال التي تأسست عام ١٩٣٦ وتمثل حسب المؤلفة اول منظمة سياسية ادرجت ضمن اهدافها حرية وحقوق المراة فكان من مطالبها: ١) وضع قوانين توافق المدنية الحديثة لتنظيم الاحوال الشخصية. ب) السعي لتحرير المرأة من الاحتفاظ بالنظام العائلي.

رفع الاتحاد النسائي مذكرة الى رئيس الوزراء ورئيس مجلس الاعيان العراقي يوم ١٨ حزيران ١٩٥٢ تطالب بالمساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين المرأة والرجل وكرر الاتحاد مطالبته بالمساواة في ٦ تشرين الثاني حين قدم مذكرة لرئاسة الوزراء وقيادي الاحزاب السياسية تنشد تحقيق هذا الهدف من خلال تعديل قانون الانتخابات ونظم الاتحاد النسائي العراقي «اسبوع المرأة» عام ١٩٥٤ للضغط على السياسيين والمسؤولين الحكوميين لتعديل قانون الانتخابات لصالح المرأة.

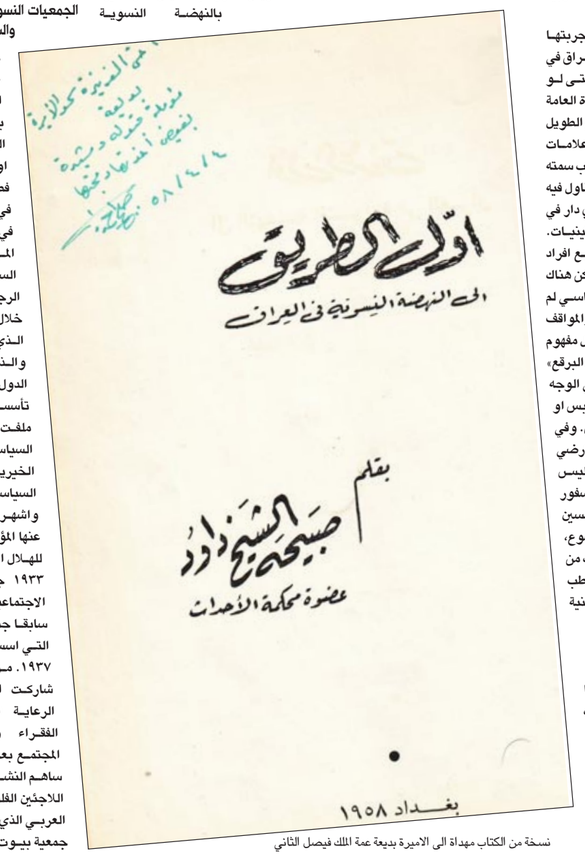

نسخة من الكتاب مهداة الى الاميرة بديعة عمة الملك فيصل الثاني

وقد تحقق الاصلاحات المطالب بها من قبل انصار حرية وحقوق المرأة حين عرضت الحكومة العراقية تعديل الدستور العراقي يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٧ من خلال اضافة «التعريف بالفقير وجمعية الاميات التابعة للكنيسة الاثورية الانجيلية وكان هناك الفرع النسائي لجماعة الاخوان المسلمين في العراق الاخت المسلمة التي تأسست عام ١٩٥١ وكانت تعمل في مجال التربية الاسلامية ومكافحة روح التفرنج والتحلل الاخلاقي».

ومن الجمعيات ذات الميول السياسية ذكرت صبيحة ثلاث جمعيات وهي جمعية مكافحة النازية والفاشية التي تأسست عام ١٩٤٢ واصبحت جمعية الرابطة النسوية، ونادي اخوات الحرية الذي تأسس بجهد مرغريت دراور عام ١٩٤٤. لهاتين الجمعيتين اهداف خيرية اجتمعية وسياسية فقد دافعت عن حرية وحقوق المرأة وقدمت مساعدات ورعاية خيرية وثقافية مثل محو الامية ومساعدة الاولاد المرضى وقدمت ندوات ثقافية وعلمية ايضا. لكن المؤلفة توقفت طويلا عند ابرز جمعية سياسية مجتمعية وهي الاتحاد النسائي العراقي الذي تأسس إثر مؤتمر الاتحاد النسائي العربي الذي عقد بدعوة من هدى شعراوي في القاهرة سنة ١٩٤٥. دعى الاتحاد الى تضامن النساء العراقيات والعربيات للدفاع عن حقوق المرأة الاسرية والاجتمعية والسياسية واستهدف مساندة المجتمع العراقي وتثقيفه وتحضره مثل الاتحاد النسائي العراقي النساء العراقيات في المؤتمرات النسوية العربية والشرقية حيث حمل اليها المطالبات النسوية العراقية وهن اهم المؤتمرات النسوية على الصعيد العربي المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في بغداد في أيار ١٩٥٢ ومثلت فيه المؤلفة العراق. فمن خلال هذا النشاط شاركت النساء العراقيات في مشروع الوطنية العربية المتضمن الدعوة الى الوحدة العربية في اطار مجتمعات حديثة ومتقدمة تحقق اهدافا سياسية قومية كالنضال من اجل القضية الفلسطينية، وكذلك اهداف تتعلق بالحريات العامة والدعوة الى اصلاحات اجتمعية اقتصادية كالمطالبة بالعدالة الاجتماعية والمساواة بين الرجل والمرأة. فقد كانت المطالبات بحرية المراة جزءا من مطالبات التيار الاصلاحي في العراق كما هو الحال في الدول العربية عموما، فجمعية الاصلاح الشعبي على سبيل المثال التي تأسست عام ١٩٣٦ وتمثل حسب المؤلفة اول منظمة سياسية ادرجت ضمن اهدافها حرية وحقوق المراة فكان من مطالبها: ١) وضع قوانين توافق المدنية الحديثة لتنظيم الاحوال الشخصية. ب) السعي لتحرير المرأة من الاحتفاظ بالنظام العائلي.

رفع الاتحاد النسائي مذكرة الى رئيس الوزراء ورئيس مجلس الاعيان العراقي يوم ١٨ حزيران ١٩٥٢ تطالب بالمساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين المرأة والرجل وكرر الاتحاد مطالبته بالمساواة في ٦ تشرين الثاني حين قدم مذكرة لرئاسة الوزراء وقيادي الاحزاب السياسية تنشد تحقيق هذا الهدف من خلال تعديل قانون الانتخابات ونظم الاتحاد النسائي العراقي «اسبوع المرأة» عام ١٩٥٤ للضغط على السياسيين والمسؤولين الحكوميين لتعديل قانون الانتخابات لصالح المرأة.

استعرضت صبيحة الشيخ داود عراقيات بارزات في مجال الادب والفكر واستشهدت باسماء عديدة ومن ضمنهن كثيرات شاركن في النشاط النسوي السياسي العراقي الى جانب اصدارهن اعمالا شعرية وادبية وفكرية. ففي مجال الادب والفكر استشهدت بماهرة النقشبندي وسافرة جميل وامال الاوقاتي ونعيمة نديم وامينة الرحال وافتخار الوسواسي وادبية ابراهيم رغبة وعزة الاستراباذي وعفيفة رؤوف والدكتورة نزيهة الدليمي والدكتورة لمعان امين ذكي ووديعة جعفر الشبيبي ونجيبة حمدي ولميعة الاورفلي ووجيهة رضا الشبيبي وصبيحة ومديحة الهاشمي وفائقة الخطيب وابتهاج عطا امين من العراقيات البارزات وغيرهن كثيرات. وركزت على ان الاديبة والشاعرة العراقية تنقصها التعبير عن المشاعر ولاسيما في مواضيع الحب والعزل وهما مجالات واسعان عند الرجال ونقص التعبير عنهما عند المراة العراقية يدل على ان المجتمع العراقي متغلق الى حد ما فنادرا ما نجد قصائدا او قصصا لنساء عراقيات تتحدث مباشرة عن عواطف ومشاعر الحب والعزل وتتناسف المؤلفة لهذا لانها تعده تعبيرا انسانيا طبيعيا على المراة ان تخرج من الحشمة وتتحدث عنه.

وكرست المؤلفة عدة فقرات لبعض الاديبات العراقيات المهمات مثل رباب كاظمي التي ولدت عام ١٩١٨ وهي ابنة الشاعر الكبير الاصلاحي والمعارض للاستعمار الانكليزي عبد المحسن الكاظمي. وايضا للسيدة سلمى عبد الرزاق التي ولدت عام ١٩٠٨ وانجبت اشهر الشاعرات العراقيات نازك الملائكة وهي في الخامسة عشرة من عمرها نتيجة زواجها المبكر. الفت قصائد تعبر عن رأيها بالوضع السياسي في العالم العربي كما في قصائدها عن القضية الفلسطينية. اما نازك الملائكة التي ولدت عام ١٩٢٣ وتخرجت من دار المعلمين العالية وتلقت دراستها العليا في امريكة فهي الشاعرة الكبيرة وايضا الباحثة والمحاضرة التي شاركت في العديد من المؤتمرات الادبية على صعيد العالم العربي ولنازك دواوين مطبوعة ومنتشرة في جميع انحاء العالم العربي الذي تاثر بقصائدها الوجودية المتميزة بالتشاؤم والتساؤلات حول شعورها بالغربة كما تشير الابيات التالية:

ماذا وراء الحياة ماذا
اي غموض واي سر؟
وفيم جئنا؟ وكيف نمشي؟
يا زورقي ام لاي بحر؟
يدفعك الموج كل يوم
اين ترى غاية المقر؟

اجري كما ترسم المقاديرلي الى حيث
لست ادري
وصدوف العبيدية واسمها الحقيقي فطينة حسين النائب ولدت عام ١٩١٧ وهي حفيدة العلامة عبد الوهاب النائب، درست في المدرسة المركزية وتخرجت من دار المعلمات الابتدائية سنة ١٩٣٦ وكانت عقيلة ابن عمها الشيخ بها الدين سعيد. عادت للدراسة في كلية الملكة عالية بعد وفاة زوجها واصدرت اول ديوان لها عام ١٩٥٥ بعنوان «الهيب الروح» وتميز شعرها بقوة التعبير عن خلجات النفس والعواطف والمشاعر ولها:

انني متفائلة حتى باليأس، واثقة بالله وعنايته ، حتى عندما ارى الدنيا ظلاما، والامال حطاما.

احب الحياة ككتاب لذيذ جدير بالقراءة، كما احب الموت ككتاب لم اقراه بعد، وان احسست احيانا انه يبدي:

واني على وشك قراءته.

اما عاتكة وهبي الخزرجي التي ولدت عام ١٩٢٤ وحصلت على دكتوراه الدولة من كلية الاداب في السوربون ونشرت شعرها في سن مبكرة في الصحف العربية منذ ١٩٣٩ وقدمت بحثا تشرح فيه ديوان العباس بن الاالفت والفت مسرحية بعنوان «مجنون ليلى» نهجت فيها نهج احمد شوقي ومن الشاعرات الاخريات لميعة عباس عمارة التي تخرجت من دار المعلمين العالية عام ١٩٥٠ ونظمت اول قصائدها وهي في الخامسة عشرة من عمرها. ومقبولة الحلى التي تخرجت من كلية الملكة عالية سنة ١٩٥٥ ونشرت شعرها في جميع الصحف والمجلات ولاسيما العرفان وتميزت فيه بالنوع العاطفي الناري في تلك الفترة كما اوردنا.

نقتطف ابيات قصيدة «النداء» التالية:

ان حبي ليس كالحب: سقاها وادعاء
ومني مظلمة اللجة.. تهتز اشتهاء
ان حبي، كرفيق الزهر، طهرا وازدهاء
كابتسام الارض بالعشب اذا تشرب ماء
كصلاة الامن الداعي ابتهالا ودعاء

اما اميرة نور الدين الداوود التي ولدت في بغداد عام ١٩٢٥ حيث درست فيها الثانوية وانتقلت عام ١٩٤٣ الى كلية الاداب في جامعة القاهرة وتخرجت منها وقدمت رسالة ماجستير تتناول «الشعر الشعبي في منطقة الفرات الاوسط» سنة ١٩٥٧. ومن اهم ابحاثها الشعرية دراستها عن شعر محمد اقبال التي طبعتها السفارة الباكستانية عام ١٩٥٠.

ثم انتقلت المؤلفة الى موضوع الصحافة النسائية وذكرت بعض الاسماء لصحفيات عراقيات بارزات كسلوى زكو وجميلة يوسف وشرقية الراوي. وتوقفت عند بولينا حسون ومجلتها ليلى اول مجلة نسائية والتي حمل عددها الاول الصادر يوم ١٥ تشرين الاول ١٩٢٣ العنوان «في سبيل نهضة المرأة العراقية» نشر في صفحاتها شخصيات نهضوية كالرصافي والزهاوي عبروا فيها عن افكارهم المناصرة لتحرير المراة العراقية. ومن الصحف النسائية الاخرى هناك المراة الحديثة التي ساهمت فيها حميدة الاعرجي والتي عبرت اسمها الى فتاة العراق سنة ١٩٣٦ والتي تميزت بقلم حسيبة قاسم راجي وهناك ايضا فتاة العرب لمريم نرمة التي صدر عددها الاول عام ١٩٣٧ بالتعريف التالي «جريدة ادبية نسائية اجتماعية غايتها خدمة الفتاة العراقية» ولكن لم يستمر صدورها اكثر من ٦ اشهر بسبب نقص الامكانات المادية.

كذلك من الصحافة المناصرة للمراة اصدرت جمعية تحرير المراة عام ١٩٤٣ جريدة صوت المراة للدفاع عن حقوق النساء ولكنها توقفت عن الصدور بعد عددين فقط. وذكرت صبيحة مجلات اخرى كفتاة الرافدين الصادرة من قبل المنزلتها المتدنية في كثير من الاحيان فتقول: «وما من شك في ان سيادة الرجل جعلتها بضاعة بمعنى الكلمة، وهبطت بها الى مستوى غير لائق، فضلا عن انه غير عادل.. وحتى اليوم لا نملك لنفسها كلمة في تقرير مصيرها. ولا في اهم امورها الدنيوية، كالزواج ، وهي توهب او تكرم وتستبدل بها اخرى وتباع.. وانا اعني ذلك، لان ولي امرها يستأثر بمهرها كله، فتذهب الى دار الزوجية خالية الوفاض، بينما يصرف وليها مهرها في الوجوه والشؤون الخاصة به». لكنها نسبت الوضع الكارثي للنساء الريفيات الى الظروف الاقتصادية والاجتماعية في الريف اضافة الى العقلية الذكورية المهيمنة على النساء. فانتشار ظاهرة تعدد الزوجات في الريف نسبته الى الفقر الهائل وسيطرة العقليات المتخلفة بسبب غياب المدارس وغياب مشاريع محو الامية فاقترحت صبيحة على الدولة القيام بواجبها في المناطق الريفية والعمل على رفع المستوى المعيشي وتوزيع مساعدات مالية وعينية للفقراء ونشر مشاريع محو الامية وانشاء مدارس للبنات.

صبيحة الشيخ داود: شاهدة على عصرها

ان اول الطريق من الكتابات التي الفت في اطار مشروع النسوية التي تركز على كتابة التاريخ من «منظور» نسائي او نسوي وتطمح الى اضافة التاريخ النسائي الى التاريخ الرسمي او بالاحرى الذكوري الذي تجاهل المرأة ووضعها على هامش التاريخ. فساهمت صبيحة الشيخ داود في تسجيل النهضة النسوية في العراق فكتابها لا يختصر بصفة السيرة الذاتية بل يشغل حيزا في تراث النسوية العربية في عصر النهضة.

صبيحة مثل معظم شخصيات النهضة تنتمي الى الطبقة العليا والاسر المثقفة والقيادية في الدولة العراقية فمن الطبيعي ان لا تتحدث عن نشاطات النساء الاخرى مثل الجمعيات اليسارية التي كانت سرية وتعتبر مخالفة للنظام بل ان تكتب مؤلفة «اول الطريق» من منظورها النخبوي القريب من قياديي الدولة العراقية الجديدة الحاكمة تحت الانتداب الانجليزي، ففي الثلاثينيات كان على الجمعيات ان تطلب موافقة السلطة عند انشائها ولم تحصل كثير من المجموعات النسائية على الموافقة فاضطرت للعمل السري وهذا ما حصل مع الجمعيات اليسارية ولاسيما المرتبطة بالحزب الشيوعي العراقي. فاغلقت مجلة رابطة المرأة العراقية (المرتبطة بالحزب الشيوعي العراقي) على سبيل المثال كما اوقفت مجلات المجموعات الشيوعية في الاربعينيات لانها اعتبرت مخالفة للنظام قد تجهل صبيحة النشاطات الاخرى او تعتبرها هامشية وقليلة الاهمية مقارنة مع النشاط «الرسمي» المعروف لنادي النسوية العراقية الذي تحدثت عنه طويلا في كتابها، وهذا امر طبيعي جدا عند كتابة التاريخ: فالمتحدث يتكلم من مكانه ومنظوره الخاص، فتتكلم صبيحة عما تعتبره هاما ومؤثرا بالنسبة اليها، فالنشاط النسوي الذي تعتبره ملفتا للنظر وجديرا بالتناول هو النشاط الذي يتعلق باسرتها ومجموعتها الاجتماعية التي كانت متعلقة بالنخبة الحاكمة انذاك.

هذا المقال استعراض للكتاب مع المقدمة التي كتبها للكتاب منير القاضي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2269)
السنة الثامنة
الخميس (6)
تشرين الاول 2011

هكذا عرفت صبيحة الشيخ داود

هي هذه صبيحة بكامل واقعها، صبيحة الوجه، حلوة الشمائل لحد مقبول، بعيدة عن التكلف لحد معقول، مجهولة على شيء غير قليل من فضائل الانسانية.
وكان سؤال، وكان جواب، اذن انت التي تسنمت الجمل في سوق عكاظ؟ قالت انا نفسي ولكن اتدري كيف كان ذلك؟ وبدأت تقص على قصتها، ثم عينت لي ولرفائي ليلة من الاسبوع لتناول العشاء على مائدتها وكانت والدتها لا تزال على قيد الحياة فنعمت بمعرفتها وهناك تعرفت باخيها توفيق الشيخ واختها فخرية ونورية، وكثيرا ما تعمل هذا مع من تراه الاول مرة ولو لم يكن لها به سابق معرفة من قبل، لذلك قل من يزور العراق من الدول العربية ويزور صبيحة لاول مرة او تلتقيه لاول مرة ولم يتناول على مائدتها العشاء، فهي سخية النفس، كريمة الطبع، فاذا دخلت بيتها وجدت من الترحيب والتهليل ما لم تجده الا عند القليل من الاطياب نساء ورجالا.

جعفر الخليلي

ويقوم اليوم الدكتور عبد المجيد القصاب بنفس هذا الدور فلا يترك زائرا محترما يزور بغداد دون ان يكرمه ويدعوه ويدعو معه طائفة ممن يجانسونه لتناول الطعام على مائدته، ولقد اشرت انا الى هذه المزية التي عرف بها القصاب في الحفلة التكريمية التي اقامها للشيخ جلال الحنفي فخاطبت القصاب قائلا:

اعددت بيتك منتدى حتى اغتدى
اسمى بيوت المجد في بغداد

وطبيعة لم تشرب الخمر، ولم تدخن ، ولم تقيد نفسها باي قيد من هذه القيود التي يتقيد بها الكثيرون ولكنها كانت تحب (البرج) ولعبت البرج في اواسط عمرها وقد يكون (البرج) هو الذي شغلها عن المطالعة والاستمرار في القراءة بعد تخرجها من الحقوق، وجعل ممارستها للقراءة والكتابة قليلة ومحدودة.

هكذا عرفت صبيحة اول ما عرفتها عن كثب، ثم زادت معرفتي لها اتصالي بها عن طريق صبيح الغافقي، وصبيح الغافقي كنت اعرفه وهو صبي صغير السن في النجف فقد كانت لي بابيه الذي كان يرأس شرطة قضاء النجف صلة صداقة ومحبة يوم كنت اصدر جريدة الفجر الصادق في اواخر العشرينات، وظل صبيح وهو طفل ينظر الى هذه الصداقة بعين التجلة والاحترام على اساس صداقة الاباء يرثها الابناء، وصلة صبيح بصبيحة هي صلته كصحافي يعمل في جريدة الزمان بكل الطبقات من رجال السياسة، والادب، ومن نساء المجتمع اللامعات، فقد كان سباقا في نشر اخبار المجتمعات العربية، وقد كسبت جريدة (الزمان) عن طريق صبيح شهرة واسعة في سبق الجرائد الاخرى في نقل الحوادث، وقد كانت لصبيح في اغلب الاقطار العربية صداقات متينة مع ابرز رجال السياسة ورجال الادب، فكانوا يكاتبونه وكان يكاتبهم. والى جانب شهرة صبيح الغافقي في تلقط الاخبار واستقائها من مختلف الجهات وكتابة الريبورتاجات الجذابة التي كان يجيد حبكها والتي كنت اعتقد انه هو ومشكور الاسدي كان لهما القدح المعلى في نسج الريبورتاجات الصحافية، اقول لقد كانت الى جانب شهرة صبيح الصحافية شهرة اخرى هي الوفاء، فما اعلم اني زرت قطرا عربيا وقد عرف ادباؤه صلتي بصبيح الا وسألوني عنه بلهفة وذكروا لي شيئا من وفائه.

وبالاجمال فقد كانت مهمة صبيح الغافقي الصحافية ان يعقد الصداقات بينه وبين اللامعين من النساء والرجال فجرني صبيح الى الكثير من المجتمعات ومن جملة ذلك الى صالون صبيحة الشيخ داود.

وصالون صبيحة الشيخ داود عامر برواده وزواره من مختلف الطبقات كما قلت من قبل كلا حسب زمانه والوقت الذي وجد فيه من الوزراء والعلماء امثال منير القاضي وزير المعارف السابق واحد اساتذتها ومن زملائها امثال راسم عبد الحميد، والدكتور مصطفى كامل ياسين الذي كان يضاهيها في الحصول على الاولية في كل سنينه في كلية الحقوق، ومن حضار صالونها من المحامين وحملة الاقلام امثال المحامي الصحافي الاديب الحاج نعمان العاني، صاحب جريدة العرب، وتوفيق السمعاني صاحب جريدة الزمان، وعبد المجيد لطفي، والدكتور صفاء خلوصي، وفيصل حسون، وصبيح الغافقي صاحب جريدة الحارس، والدكتور اسماعيل ناجي، والدكتور خالد ناجي، وقاسم حمودي صاحب جريدة الحرية وزميلها في الدراسة في الحقوق.

ومن السفراء الذين كانوا يزورون صبيحة بكثرة كان خليل مردم بك، وكان كاظم الصلح، وكان وصفي التل، والدكتور عبد الهادي النازي، ومحمد الناصري وهاشم خليل، وكثيرا ما تحضر السيدات مع ازواجهن وفي بعض الاحيان تزيد نسبة النساء على الرجال في الحضور.

وكان هذا الصالون يجمع بين المتناقضات فكثيرا ما يحضره اعضاء من احزاب مختلفة فيسود بينهم الصفاء في هذا المجلس امثال حسين جميل، وفائق السامرائي، وقاسم حمودي ، وفائق توفيق، وكل هذه الاسماء نسوقها على سبيل المثال لا الحصر.

ولم تكن زيارة صبيحة في الغالب مقتصرة على الزيارة وحدها اذ كثيرا ما تنتهي بدعوة عشاء لاسيما اذا كان هناك زائر من البلدان العربية قد ورد بغداد حديثا فيقوم الجميع ومن دعي منهم ومن صادف حضوره مصادفة الى مائدة يحس كل من يقوم اليها بكرم صبيحة وسخائها فيما يتفنن طباخها بطبخ الالوان وفي قلب المائدة يأخذ محله (السمك المسقوف) الذي لم تخل منه مائدة صبيحة في اية وليمة تقيمها، وعلى الاخص اذا كان المدعوون من خارج العراق.

وكما يضم صالون صبيحة مختلف الاجناس من الناس رجالا ونساء فان الاحاديث التي تجري في صالونها تتناول مختلف المواضيع من احاديث سياسية وتعليقات على الاخبار، ومناقشات ادبية، وطرائف عامة وخاصة، كما ان هذا المجلس لا يخلو احيانا من التوافه والزبد الذي يذهب جفاء وكثيرا ما ينتقل المفيد مما يجري في هذا الصالون الى الصحف وعلى الاخص صحيفة (الحارس) التي انتدبت خصيصا لنقل الاخبار الادبية والمناقشات التي تجري في كل يوم خميس، كذلك كانت جريدة (الزمان) كثيرا ما تعكس اخبار هذا الصالون وما يجري فيه.

وذات مرة بلغ البلاط الملكي ان بعض حضار صالون صبيحة الشيخ داود قد تناول الوصي عبد الاله بشيء من النقد. وكان ان ابلغ شاكر الوادي وكان حينذاك وزيرا للشؤون الاجتماعية صبيحة الشيخ داود استنكار البلاد وسخطه لما جرى او يجري في هذا الصالون وطلب منها تنزيه ما يدور في هذا الصالون في مثل هذه التقولات، الامر الذي دعا صبيحة ان تتصل بالاميرة شقيقة عبد الاله مستنكرة ومستغربة مثل هذا الحجر على الحريات الخاصة، وكم كان غريبا حين وجدت الاميرة نفسها تؤيد صبيحة فيما ترتئي وتلوم اخاها على مثل هذا التدخل بشؤون الناس الداخلية.

وجاء في جريدة الحارس في سنة ١٩٥٣ ان جعفر الخليلي قد اثار في احدى جلسات ندوة صبيحة وبعض الحقوقيين موضوع الادب ووجوب افرازه عن المواضيع الاخرى التي تدور في هذا الصالون وذلك بتعيين يوم خاص بالادباء يقتصر عليهم دون غيرهم وقد رحبت صبيحة بهذا الاقتراح، واقترح منير القاضي ان يكون الخميس من كل اسبوع هو اليوم المعين للادب والادباء كما اقترح ان تكون جريدة (الحارس) منبرا لاخبار هذا اليوم فتنشر خلاصة ما يدور فيه.

وبالفعل طالت الايام الادبية في بيت صبيحة وكثرت الاقوال والاراء التي نقلتها جريدة الحارس عنه وربام تناقلتها صحف اخرى عن (الحارس).

وكان لعبد المجيد لطفي الذي لازم هذا اليوم الادبي مقال طريف عن هذا اليوم في (الحارس) وكانت صبيحة قد اهدت حسين علي الاعظمي مسيحة جميلة جاءت بها معها من لبنان وقد اعجبت الحاضرين مداعبة الاعظمي لخرزات هذه السبحة وطقطقاتها الموسيقية، فتناول عبد المجيد لطفي هذه المسبحة في احدى مقالاته وقال ان لطقطقة هذه الخرزات رنة ونغمة تقوم مقالم التفاعيل في موازين الشعر، ولعلها هي السبب في جعل هذه الموسيقى الخلابة الساحرة تفيض من شعر الاعظمي اكثر من التفاعيل التي تعلمها من علم العروض، وقد هاج هذا المقال قريحة الشاعر حسين علي الاعظمي فجاءنا في الندوة التالية من الخميس بقصيدته الرائعة عن هذه المسبحة وضعتها قدسيتها وكل هذا كان قد نوقش في الجلسة التي كتب عنها عبد المجيد لطفال، وقد قرئت القصيدة ونشرها (الحارس) وتناقلتها بعض الصحف عن الحارس وهي التي اوردها هنا:

جاءت الي بسبحة من ادمع
او سبحة من اكبد وقلوب
من جيد راهبة تسبح بزحلة
وخلعت فيبغداد ثوب ذنوبي
وعكفت في محراب قلبي خاشعا
لانال في محرابه مطلوبي
متعلقا بالله جل جلاله
متشفعا بحبيبه وحبيبي
متوسلا ، متأملا، متضرعا
متطلعا في لوحه المكتوب
لتدور بي شمس بدون غروب
وتسير في بحر الوجود سفينتي
بشراع روحي او بخار لهيبي
وتطوف حول حبيبها هيمانة
بجماله من غير عين رقيب
فهو القريب لهائم في قربه
ولمن جفا ونأى فغير قريب
وهو المجيب لعاشقيه سؤالهم
ولمن طغى في الارض غير مجيب
اني لاهواه واخوى قربه
مستعذبا في حبه تعذيبي
لأرى بنور جلاله ما لا ترى
عين امرئ من سره المحجوب
واحل من ملكوته في موطن
فيه غريب الدار غير غريب
يا نفس هذا منزلي فاستبشري
يا نفس في وطن الخلود وطيبي

انه والله من العقوق المر ان ننسى حسين علي الاعظمي الذي طالما اسدى لوطنه المعروف وهو وكيل ومعاون لعميد كلية الحقوق، وقد تخرجت على يديه المئات من الحقوقيين الذين لا يزال الكثير منهم اليوم قضاء، وحكاما ومحامين، ومن الجعفري ولا ادري ما اذا كانت المذاهب الاسلامية هي الاخرى ترى مثل هذا الرأي ام لا، هو ان بامكان المرأة ان تطلق زوجها اذا جرى مثل هذا الشرط في عقد الزواج، كان يتنازل الزوج عن حقه هذا لها ويعهد به اليها. لا اذكر ما كان رد من حضر من الفقهاء على هذا الرأي، ولكني اذكر ان منير القاضي اراد يمزح فقال: لو اردنا ان نجعل الطلاق بيد المرأة لما غبن احد غيري في عالم الرجال لانني ساكون اول من تطلقه زوجه وذلك لانعدام المزايا التي تتطلبها الزوجة في زوجها في شخصي، فضحك الجميع، واستغفر بعضهم لما يعرفون للشيخ القاضي من المزايا الفائقة من حيث دمائه الخلق والانسانية فضلا عن علمه وادبه.

وتعطلت ندوة الانسة صبيحة في السنوات الاخيرة ولم يعد لصالونها ذكر الا حينما يمر بالعراق من الاقطار العربية شخص ذو مكانة تستوجب دعوته للعشاء وعدوة البعض مما يتناسب ووجودهم معه من الاصدقاء، او حين تكون هناك مناسبة تستدعي دعوة البعض بقصد التكريم، وكثيرا ما يكون هذا التكريم خاصا بسفراء الدول العربية، وهناك يعود لهذا الصالون رونقه ويعود المجال واسعا لمن يريد ان يدلي برأيه في اي شأن من الشؤون.

وضاقت الدنيا في عيني صبيحة لاسيما وهي لم تتزوج ولم يكن لها شيء يشغل به اوقاتها خصوصا وان البيوت التي كانت تجلس للناس باسم (القبول) هي الاخرى قد الغت ايام قبولها واعتاض البعض منها بالاندية كنادي (العلوية) ونادي (المنصور) ونادي (السكك) والهندسية وغيرها، ولم تكن صبيحة لتميل للاندية لذلك كانت تقضي من كل سنة وقتا في السفر، وكان يعجبها من لبنان بيت الاستاذ عجاج نويهض المؤرخ الكبير الذي ينفرد اليوم بالوقوف الكامل على تاريخ القضية العربية عامة وقضية فلسطين خاصة والذي زامل الامير شكيب ارسلان والمفتي الحاج امين وعبد القادر الحسيني، وآل النشاشيبي ورافق القضية العربية من مبدأ انبعاثها حتى اليوم، وعقيلته الشاعرة المبدعة واحدى رائدات الشعر بين الشواعر العربية، لقد جعل هذان الزوجان بيتهما محجا يحج اليه اهل الادب والمعرفة من كل مكان فيتغذون به جسما مما يقدم لهم من اطايب الطعام، وروحا مما يفيدون به من كنوز هذا البيت ومعارفه، وانا واحد من هؤلاء الذين ينعمون بمحبة هذا البيت وافضاله ان انا سافرت الى لبنان، واية سنة هي التي لا اسافر فيها الى لبنان؟ وقد ذكرت اذاعة بيروت في السنة الماضية ان الشخص الذي زار لبنان اربعين مرة هو جعفر الخليلي.

اقول لم تحب صبيحة بيتا كما احبت بيت عجاج نويهض برأس المتن، وكانت علاقة صبيحة بالبيوت داخل بغداد وخارجها شديدة وكانت ترتاد القصر الملكي وتزور الاميرات، وتربطها بالعائلات روابط جد متينة.

والفت الدخول الى بيتنا وتحكمت المودة بينها وبين زوجتي وبناتي وحين توفيت زوجتي كانت صبيحة ممن احسنوا مواساتنا، وظلت صلاتها ببناتي شديدة وقائمة الى حين وفاته.

وفي صبيحة مزايا انسانية تمتاز بها على غيرها اكثر من اي شيء آخر فهي طاهرة النفس، اذاعلق بذهنها ما يكدر الصفو فسرعان ما يزول، واذا ساءها شيء من صديق فما اسرع رضاها، لم تعرف الحقد، ولا الحسد، ولا معاداة الناس، وهي بعد ذلك سانجة كانها لم تكن قد تعلمت شيئا او قد فازت بالدرجات الممتازة في جميع مراحلها وهذا هو عنوان الطيبة، وقد تركت الشيء الكثير من الاثار التي تذكر بقيمتها الانسانية ومنزلتها الكريمة عند معارفها لقد تركت الصحف التي كانت تصدر في ايامها وفي مقدمتها جريدة (الحارس) وجريدة (الزمان) وجريدة (الاخبار) تتحدث بما يلذ للقارئ ان تتحدث به. وتركت من طالباتها مثل الدكتورة لمعان امين زكي، والشاعرة فطينة النائب، والدكتورة امنة صبري مراد، واديبة ابراهيم رفعت خير امثلة لنهج صبيحة في التربية والتعليم.

كانت كريمة وقد بذلت كل ما كان يقع تحت يدها في معونة الكثير ممن يستحق المعونة ، وقد وقع تحت يدها الشيء الكثير سواء من الارث او من الرواتب وحين ماتت لم يكن عندها من الرصيد في البنك غير خمسة دنانير ، خمسة دنانير لا غير.

عن كتاب هكذا عرفتهم للراحل جعفر الخليلي الجزء الخامس

ان نتناسى شاعرا كان المجلي في الكثير من المناسبات التاريخية والوطنية والغريب اننا لم نعد نذكره حتى اسطتردا وعرضا حين يمر ذكر الذين اسهموها في خدمة كلية الحقوق او الذين يمر ذكرهم كشعراء في هذه الفترة من الزمن.

ومما ذكر في يوم الخميس الذي خصته صبيحة باهل الادب والشعر والحقوق ان مناقشة جرت بيني وبين الاستاذ منير القاضي. والاستاذ منير القاضي عالم معروف وفقيه شهير وقع في اشتباه او سهو ولكن ذلك الاشتباه والسهو لن يقلل من قيمته كعالم جليل، فقد روى ذات ليلة فيما روى بيتا من الشعر رواه على هذا النحو مستشهدا به:

واني رأيت الناس فيما رأيتهم
ظواهرهم ليست كالبواطن.

وكان قد روى لي في مجلس ىخر من مجالس صبيحة الشيخ داود بيتا آخر من الشعر كان هو الاخر خارجا على الوزن وكانت لي معه وقفة، فقلت له ان هذا البيت غير موزون، ولابد ان يكون العجز مثلا (ظواهرهم ليست كما في البواطن)، او يكون مثلا (واهرهم غير التي في البواطن) او يكون غير هذا فقال انا متاكد ان البيت قد ورد على هذه الصورة فقلت من الجائز ان يكون الخطأ من الطبع اذا كان النص مطبوعا، ومن الناسخ اذا كان النص مخطوطا او ان يكون البيت من محفوظات الصغر، اذ كثيرا ما يعلق الشيء بذهن المرء من صغره وهو خطأ فيظل مرتسما في الذهن حتى ولو بعد ان يتمكن المرء من اللغة والنحو والصرف والعروض.

وبدا لي ان (القاضي) لم يرتض بقولي، ولم يجر بنا النقاش الى اكثر من هذا فالرجل كبير الشأن، ومحترم، وعالم بحق، وكفاني اني كتبت البيت في مذكرتي، ثم نسيته، وقد بحثت عن اليوم في عدد من المذكرات الجيبية حين جاء ذكر الصالون حتى وجدته، وصار عندي من اليقين ان العلم وحده او علم العروض وحده لا يكفي لضبط الوزن عند العلماء ما لم تكن السليقة الفنية سليمة عند هؤلاء العلماء.

وجرى مرة في هذه الندوة من يوم الخميس ذكر الطلاق وما اذا كان يجوز للمراة ان تمنح حق الطلاق، وكانت المناقشة عنيفة، وكانت صبيحة ترى وجوب تعديل (الاحوال الشخصية) ومنح المرأة هذا الحق، وكان منير القاضي يخالف هذا الرأي ويرى فيه خروجا على الشريعة الاسلامية.

فقلت ان الذي اعرفه عن المذهب

كان قد روى لي في مجلس ىخر من مجالس صبيحة الشيخ داود بيتا آخر من الشعر كان هو الاخر خارجا على الوزن وكانت لي معه وقفة. فقلت له ان هذا البيت غير موزون، ولابد ان يكون العجز مثلا (ظواهرهم ليست كما في البواطن)، او يكون مثلا (واهرهم غير التي في البواطن) او يكون غير هذا فقال انا متاكد ان البيت قد ورد على هذه الصورة فقلت من الجائز ان يكون الخطأ من الطبع اذا كان النص مطبوعا،

عدد من الفتيات مع الملك فيصل الثاني

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
الغلاف بريشة: عماد سعيد
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

عراقيون
من زمن التوهج